

السنة التاسعة والأربعون وأربع مئة

فيها في المحرّم استعفى ابن النسوي من ولاية الشرطة ببغداد؛ لاستيلاء العيارين واللصوص عليها، بحيث أُقيم تحت تاج الخليفة مَنْ يحفظ الزبازب والطيار الذي للخليفة من الحريق.

وفيه فُتحت واسط، وهرب ابن فسانجس وابن يانس في ثالث عشره، وأقيمت الدعوة للقائم، وفي العشر الآخر منه اشتدّ الغلاء ببغداد، فبيعت العقارات بالرّغفان، وأُكلت الميتات والكلاب والقطاط. قال غرس النعمة: لقد شاهدتُ امرأةً بنهر مُعلّى ومعها فخذ كلب ميت قد اخضرّ وجفّ وهي [تنهشه و] ^(١) تأكله. ورأيتُ امرأةً رمّت من سطح طائراً ميتاً، فاجتمع عليه خمس أنفس واقتسموه وأكلوه.

وخرّب البلد ^(٢) والسواد جميعه خراباً دارساً، ونقضت الدور الشاطية وغيرها، وسُدّت أبوابٌ كثيرةٌ مات أهلها [وخلّا منها من كان بها] وكان الإنسان يمشي ببغداد في الجانبين فلا يرى إلا الواحد بعد الواحد.

وفي المحرّم مات [عيسى بن] خميس بن ثعلب صاحب تكريت، وقَتَلَتْ زوجته أميرة بنت غريب أخاه أبا الغشّام ^(٣)، وكان معتقلاً في القلعة، فخافت منه أن يستولي عليها وعلى القلعة، وتسمّت بعيسى، وقيل: إن عيسى أمرها بقتله، وأصعدت إلى الموصل، فنزلت على [نور الدولة] دُبّيس [بن مزيد] وكان [أبو المعالي] قريش قد خطبها وأرغبها، فمالت إلى عيسى [بن خميس هذا المتوفى وتزوَّجته]، ووقع بين عيسى وقريش لأجلها، وخطب البساسيري، ونزع طاعة قريش، فلما أصعدت إلى الموصل بعث إليها قريش فأطاعته.

[وقال ابن الصابئ: ووجدت في أتون بباب البصرة إنساناً بصيراً وآخر ضريراً كانا يُكديان ^(٤) على القنطرة، قد شويّا صبيّةً صغيرةً في نار التُّور وهما يأكلانها، وقد بقي

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(م١)، وما سيأتي في هذا الجزء من زيادات لم يُشر إليها فهو منهما.

(٢) تحرفت في (خ) إلى: الولد، والمثبت من باقي النسخ.

(٣) بعدها في (خ) و(ف) زيادة: عيسى.

(٤) يُكديان: يُلحّان في المسألة. المعجم الوسيط (كدي).

رأسها وأطرافها، فقتلوا الضريير ورموا به في بئر، ونكسوا البصير من باب القنطرة على رأسه إلى الصرارة، وكان الضعفاء يعملون مثل ذلك، ولا يُعلم بهم].

وفيه قبض عميد العراق على صندل خادم الخليفة، فقامت عليه القيامة، وكتب إلى رئيس الرؤساء رقعةً طويلةً بخطه يقول فيها: قد عرفت ما كان الانقباض واقعاً منه عند النص على استخدام أحمد بن علي - يعني العميد - على الباب العزيز، فإن أسباب الكراهة لذلك كانت باديةً، ثم ظنَّ أنَّ ما سوَّفه به من اللفظ العالي السامي المعظم يوم الوداع كافٍ لملوك الأرض، فضلاً عنه، وذكر أفعال العميد وما عامل به أمراء الأطراف، وقال: ومن العناء رياضة الهَرَم^(١)، فأطلق الخادم، واعتذر بأنه لم يعلم أنه من خدم الخاصة، وفي هذا الوقت أُسِرَ أبو الغنائم بن فسانجس، وسببه أن أبا الفضل الهَمْداني عميد العراق خرج من بغداد في جماعة من الجند والعجم والعرب لاعتراض ابن فسانجس في إصعاده من واسط، فصادفوه يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، وهو في جمع كثير من الغلمان الواسطية والدَّيلم وبين خفاجة ورجاله، وكان الهَمْداني في نَوْشِير^(٢)، فلما رآه العميد رمى بنفسه ومَن معه عليهم، فهزهم وقتلهم، وأخذ ابن فسانجس أسيراً وأخاه وأهله، وكتب إلى بغداد على جناح طائر، فضربت البشائر، وحُمِلَ إلى بغداد يوم الأحد تاسع عشر صفر على [جمل]^(٣) وعليه قميص أحمر، وطرطور أحمر بَوَدَعٍ، وأخذ من رَحْله دراهم عليها اسم صاحب مصر، فعُلِقَ بعضها في عصابة على جبينه، وطيَّفَ به بغداد من الجانبين، وصعد الخليفة ورئيس الرؤساء إلى المنظرة بباب الحلبة حتى شاهدها، ووراءه الناس يضربونه، ويُنادى عليه: هذا جزاء من كفر النعمة، وأساء إلى من أحسن إليه. فلَمَّا بلغ النجمي حُطَّ وقد نُصِبَتْ له خشبة فُضِّلِبَ عليها، وشُدَّتْ رجلاه في رأسه، وقُطِعَ رأسه، ورُميت جثته إلى الكلاب فأكلتها، وبعث العميد رأسه إلى السلطان مع المنجوق الذي له، وعليه اسم صاحب مصر، فأمر السلطان بأن يُعَلَّقَ رأسه على المنجوق ويُطاف به في العسكر.

(١) هذا عجز بيت لمثل شعري من الكامل صدره:

أتروضُ عِرسك بعدما هَرمت.

وهو في المستقصى من أمثال العرب ٣٤٩/٢، وجمهرة الأمثال ٤٠/٢، وجمع الأمثال ٣٠١/٢.

(٢) هكذا في النسخ، ولعلها: نَوْشَار: وهي قرية ببلخ. ينظر معجم البلدان ٣١٠/٥.

(٣) هذه الزيادة من (ف).

وفي صفر كُيسَت دارُ أبي جعفر الطوسي فقيه الشيعة بالكَرْخ، وأخذَ ما كان فيها من الكتب وغيرها، وكرسيُّ كان يجلس للكلام عليه، وسَنَاجِقُ^(١) بيض كان الزوَّار من أهل الكَرْخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة المشهدين، فأحرق الجميع في سوق الكَرْخ، وكان ببغداد الزهيريُّ وابنُ اليدن، وكانا فاتِكَيْن، فجرى منهما في هذا اليوم على أهل الكَرْخ من السب والشتم شيءٌ عظيم، وقالوا: أنتم أعداء الخليفة، ولم تستعملوا مع ابنِ فسانِحِس قبيحاً في قول ولا فعل لَمَّا شهروه في محالِّكم، وأطلق رئيس الرؤساء لسانه في الشيعة، وتهدَّدهم بالقتل والصلب.

وفي ربيع الأول عقد السلطان جسراً على الزاب الأول وعبر إلى قلعة كُشاف^(٢)، وكانت لمحلي بن درع، ففتحها وأخذ منها غلَّاتٍ كثيرة، وأصنافاً مختلفةً، وكان قد ضاقت به الميرة.

وفي مستهلِّ ربيع الآخر قصد الزهيري وابن اليدن وجماعةً من أهل باب البصرة والحربية ونهر طابق ودرب الشعير والقلائين مشهَدَ موسى بن جعفر، ومعهم النوائح فيه بقصائد في حريق المشهد، وسَمَّوا قبور المشهد، وفعلوا كلَّ قبيح، وانتقل العلويُّون منه، ولم يبق فيه إلا القليل، فمن القصائد: [من السريع]

يا مُوقِدَ النيرانِ ^(٣) بالمشهدِ	بُورِكَ في كَفَيْكَ من مُوقِدِ
طَهَّرتَ أرضاً كلَّ سُكَّانِها	ما بينَ زنديقي إلى مُلحدِ
لا حافظَ للذِّكرِ فيهِم ولا	مقدِّسٌ يركعُ في مسجدِ
من كلِّ بِدعِيٍّ له مذهبٌ	متخذاً للرِّفْضِ بالمسندِ
لا تابعٌ للدينِ فيهِم ولا	معتقِدٌ للبعثِ من مرقدِ
بلى يظنُّون وويلٌ لهم	أنَّ المُنايا آخِرُ المَورِدِ
وأثمُّ مثلُ حشيشِ ذوى	بعد اخضرارٍ ليس بالعُودِ

(١) في (خ) و(ف): مناجيق، وفي المنتظم ١٦/١٦: مجانيق. والسناجق جمع سنجق، وهو: الراية.

(٢) كُشاف: موضع من زاب الموصل. معجم البلدان ٤/٤٦١.

(٣) في (ف): الناس.

كَلَّا وَرَبُّ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
مَنْ بَارِقِ يَلْمَعُ أَوْ مُرْعِدِ
فِي مَوْلِدِ يَوْلِدِ أَوْ وَالِدِ

فهل بهذا أحد راضياً
فلا سقاهم أبداً وإبلاً
ولا رعى من عهدهم ذمّة
ومن أخرى: [من المجتث]

كَمْ بَيْنَهَا مِنْ قَتِيلِ
بَيْنَ النَّقَا وَالذَّخُولِ
بِالْمَشْهَدِ الْمَخْذُولِ
تَجْرِي بِبُولِ^(١) الْوُعُولِ
عَنْ كُلِّ حَقِّ عَدُولِ
رَفِي لِيَالِي الْقَبُولِ
عَلَى ذُكُورِ الْفُحُولِ
بَسَبِّ صَخْبِ الرَّسُولِ
بِالرَّفْضِ مِنْ شُرْحَبِيلِ

سَلْ دَارِسَاتِ الطُّلُولِ
وَارْبَعِ عَلَى عَرَصَاتِ
فَسَلِ الْقَبَابِ الْعَوَالِي
وَلِلْعَيُونِ اللَّوَاتِي
عَنْ كُلِّ زَنْدِيقِ كَفْرِ
يَا مَشْهَدًا يَشْهَدُ الْكُفْرُ
تَجْوُلُ فِيهِ الْبَغَايَا
يُمَازِحُونَ الْبَلَايَا
حَبْلُ الرَّوَاْفِضِ أَهْوُنُ

وفي ثامن ربيع الآخر عاد الزُّهيري وابن اليدن والجماعة المُقَدِّمُ ذِكْرَهُمْ إِلَى الْمَشْهَدِ وَسَمَّوْا ضَرِيحَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ وَالْجَوَادِ وَجَمِيعِ الْقُبُورِ، وَصَعِدَ عَلَى ضَرِيحِ الْإِمَامِ رَجُلٌ وَقَالَ: يَا مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ، إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ فَرَحِمَكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ تَبْغِضُهُمَا، وَذَكَرَ اللَّعْنَةَ. وَصَعِدَ آخَرٌ يُعْرَفُ بِابْنِ فَهْدٍ، فَرَكِضَ عَلَيْهِ، فَيَقَالُ: إِنَّهُ انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، وَعَالَجَهُمَا الطَّيِّبُ وَبَطَّهْمَا، وَأَخَذَ الزُّهَيْرِي طَاسَةً فَضَمَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِ الْإِمَامِ يُطْرَحُ فِيهَا الْخَلْقُ، وَقَالَ: هَذِهِ يُثْرَدُ فِيهَا، وَأَنْتَ يَا مُوسَى مَمَّنْ يَدَّعِي الرَّوَاْفِضِ؛ أَنْتَ تَسْمَعُ الْكَلَامَ وَتَرُدُّ الْجَوَابَ، وَمَا قَدَرْتَ عَلَى مَنَعِي مِمَّا فَعَلْتَ، وَصَارَتْ الْجَمَاعَةُ فِي كُلِّ سَبْتٍ يَقْصِدُونَ الْمَكَانَ وَمَعَهُمُ النَّوَائِحُ، فَيَنُوحُونَ وَيَلْعَنُونَ الشَّيْعَةَ، وَكَذَا فِي جَمِيعِ مَشَاهِدِ الشَّيْعَةِ، وَكَانُوا يَدْخُلُونَ الْكَرْخَ فَيَنْهَبُونَ وَيَقُولُونَ: أَسْلَمُوا يَا كَفَّارَ. وَفَتِحَ فِي الْمَشْهَدِ بَابٌ إِلَى الْحَرِيَّةِ، وَجُعِلَ طَرِيقًا لِلْسَّابِلَةِ، وَكُلُّ هَذَا يَتَقَدَّمُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ، وَجَاءَ كِتَابُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ إِبْرَاهِيمَ يَنَالُ إِلَى أَخِيهِ السُّلْطَانَ يَتَعَلَّلُ وَيُسَوِّفُ، فَغَازَى ذَلِكَ

(١) في (خ): ببوس! والمثبت من (ف).

السلطان، وكان يَنَالُ مقيماً بطُوس، ووصل داود ابن أخي السلطان بِنِيَّةِ غزاة الروم، وكان معه خلقٌ كثير، فتعوَّضَ به عن إبراهيم يَنَالُ، وسار السلطان إلى الموصل، واندفع البساسيري عنها مقدار عشرة فراسخ، ونزل السلطان تل بُويَه، وهرب أهلُ الموصل، وعبر السلطان إليها يوم الثلاثاء رابع الشهر، فنزل دار الإمارة، ونزل أصحابه دور الناس، وكانت قد خَلَّتْ منهم، وكتب السلطان إلى الخليفة يخبره بنزوله الموصل، وسار منها، فنزل الدَّكَّة، والبساسيري وَمَنْ معه بِنَوْشَرَى^(١) وبينهم عشرة فراسخ، وأقطع السلطان الموصل لهزارسب، وطالبه العسكر بنهبها، فقال: هذا بلد قد أقطعناه لهزارسب وقد خَدَمْنَا، ونحن محتاجون إلى الإقامات والعلوفات. فقالوا: إِمَّا تَأْذَن لَنَا فِي نَهْبِهِ، وَإِلَّا انصرفنا. وسأله هزارسب في حريم المسلمين وأموالهم، فقال: قد دافعتُ عنهم وما أطقْتُ، ولا بَدَّ لَهُمْ من إقامات أو عطاء، وما معي مال، فنمضي الليلة ونُخْرِجُ مَنْ فِي الْبَلَدِ إِلَى مَعْسَكِكْ لِيحْرزُوا نفوسهم، فأرسل إلى أهل البلد، وأخبرهم، فارتاعوا، وخرج مَنْ قَدَّرَ مِنْهُمْ، وأصبح العسكر فدخلوا البلد، فما أمسى إلا وهو خراب دارس، وحمي لهزارسب النساء والرجال، وفرَّقَ فيهم مالا، وأعادهم إلى البلد.

ذكر ما جرى بين عسكر السلطان والعرب:

لَمَّا طالت المدة في المقام ضجر كلُّ واحد من الفريقين، فقال هزارسب للسلطان وكان عنده في المنزلة العالية يستشيريه في أمور المصلحة: أسير وأشرف على حلل العرب، فإما أن نُنتج صلحاً، أو نُثير حرباً، فقد طال المُقام، وإني أجود معي ألف غلام [ممن أختار. فقال له السلطان: ألف غلام]^(٢) لا يكفونك، فخذ ثلاثة آلاف. فقال: في ألف كفاية، وفي الزيادة عليهم تعب. وإنما أسري جريدة^(٣). فقال: افعل. وسار وأقام الكمناء، فوافق العربَ راحلين إلى بَرَقَعِيد، فلما رأوا طلائعه لم يشكُّوا أنه السلطان بنفسه، فانهزموا، وتبعهم أسراً وقتلاً، وأخذ محمد بن منصور أسيراً، وعاد

(١) هكذا في النسخ، ولعلها: نَوْشَرَى: وهي اسم لنيسابور ونواحيها بخراسان. ينظر معجم البلدان ٣١١/٥.

(٢) هذه الزيادة من (ف).

(٣) الجريدة: الخيل التي لا رجالة فيها. المعجم الوسيط (جرد).

فجلس السلطان على كرسي، وأحضر منهم جماعةً وأرماهم تحت أرجل الفيلة، وفيهم غلامٌ أمردٌ وضيء الوجه، فامتنع الفيل من قتله، فعفا عنه السلطان.

ولمَّا جرَّت هذه الواقعة جاءت رسلُ قريش ودُبيس إلى السلطان يسألان^(١) العفو والصفح ويدخلان في الطاعة، ويقولان: إنَّ البساسيري حُكْمُهُ حُكْمُنَا، ويدخل فيما دخلنا فيه، ويؤدي في كل سنة ما جرَّت به العادة، ويخطب للدولة العباسية، ويعود إلى ما كُنَّا عليه. فقال السلطان: إننا لكما مؤثرون، وبما جرى منكما مسامحون، ويجب أن تُنفِذا مَنْ تَتَّقَا به ليتوتَّق منا، ويسمع لفظنا لتسكن نفوسكما إلينا، وتطأ بساطنا، ونُفيض الإنعام عليكما، وأما البساسيري فالعفو فيه راجع إلى أمير المؤمنين، فإن عفا عَفَوْنَا وسَلَّمْنَا إليه من الأعمال ما يختار، فقد بَلَّغْنَا من شهامته ما يقتضي الاهتمام بمراعاته. وانصرف الرسلُ ثم عادوا بالشكر، وسألوا إبعاد ابن وَرَّام ليقرر ذلك، وذكروا أن البساسيري لَمَّا عرف ذلك رحل إلى الرَّحبة ومعه الغلمان البغدادية ومَنْ تَبِعَهُ من بني شيبان والأكراد ومقتبل وجماعة، ومضى خائفًا وقد ثَقُلَ عليه حديث الصلح.

وفي رواية: أن سبب هذه الرسالة من السلطان أنَّ محمد بن منصور لَمَّا أُسِر قال لهزارسب: قد أنعم عليَّ السلطان ببقاء نفسي، وأنا والله أُشير عليه بما أنصحته فيه، وأجلب به الخير لبني عمي وعشيرتي والناس أجمعين، وقد خربت بلاد العراق، وضاعت الأموال، وهلكت الدنيا التي يقع عليها القتال، والمصلحة أن تأمرني أن أدخل بينه وبين العرب، وأرُدَّ الجميع إلى طاعته وخدمته، وتُقرَّر ما في أيديهم على ما كانوا عليه مع^(٢) ملوك العرب، فلو أمِنوا ثغرة هذا الجيش ما عصوا، وتحقَّن هذه الدماء، وتكون أنت الواسطة، فعرف هزارسب السلطان، فقال: مصلحة، أُطلقه وأبعثه رسولاً إليهم. فقال محمد: بل أبقى ها هنا وأراسلهم. فبعث إليهم بعض العرب، ويبيِّن لهم وجه الصواب، فأجابوا، ولمَّا عرف البساسيري رحل عن الحلل مغاضباً لقريش ودُبيس، فنزل على فرسخ منهم، فركبا إليه وعابناه وقالوا: قد خربت بلادنا،

(١) هكذا في (خ) - وهي النسخة الوحيدة لذكر هذا الخبر - بالثنية، وكذلك في الكلام الآتي، والصواب أن يكون بضمير الجمع كما سيأتي في آخر الخبر.

(٢) في (ف): من.

وقُتِلَ رجالنا، وسُبي حريمنا بسبيك، والحرب سجال، وما ندري ما يكون، وهذا السلطان معه أمم لا طاقة لنا بهم، وما راسلناه حتى اقترحنا عليه أن تكون البصرة لك، وحكمك حكمننا في صلحننا، وإلا فقد خربت ديارنا. فقال: لستُ لما يُبدل لكم متحققاً، وما غرضه إلاّ تبديدُ جمعنا، وإنهاء حيلة علينا، وسخرية بنا، وبعد فأنا صاحب سلطانٍ بعيدٍ عني، ولستُ مالكاً لأمري، ولا بُدّ من مطالعته، واستدعاء إذنه فيما أفعل. وأغلظَ لهم فانصرفوا، وعاد رسولهم ابنُ وَرَّامٍ وقرّر ما أرادوه، فأفرج السلطان عن محمد بن منصور والجماعة المأسورين، واستقرّ الأمر على مسير هزارسب إليهم؛ لاستخلافهم وإحضارهم إلى الخدمة، وقال: أنا رهينة عندكم، فإن رأيتم ما تُحبون وإلاّ فنفسى لأولادكم وأهلكم. فقالوا: نحن له طائعون، وإذا ردّ علينا بلادنا وانحدر إلى العراق نطأ بساطه بين يدي العتبة الشريفة، ويكون الخليفة هو المتوثق لنا منه. فقال هزارسب: إذا كنتم لهذا الأمر كارهين، فأنا أضمن عنه الإجابة إلى ما سألتهم. فانتدبوا سبعين فارساً من أعيانهم ووجوه القبائل، وساروا مع هزارسب وابن وَرَّامٍ، فركب عميد الملك لاستقبالهم، وأنزلهم هزارسب في خيمته، وبعث لهم السلطان خيمةً كبيرةً ينزلونها إكراماً لهم وتشريفاً، وجاء غلمانٌ من الترك في الليل، فضربوا خيل العرب بالنشّاب، فقتلوا منها أربعة أفراس لها قيمة، وبلغ السلطان فأنكر ذلك، واعتقل الغلمان، وحضر القوم من الغد عند السلطان، فأكرمهم، واعتذروا إليه، فقَبِلَ عذرهم، وخاطبهم بالجميل والصفح، وأنه مؤثّرٌ لخدمتهم، مختارٌ لقربهم، وتوثق منهم، وطابت قلوبهم؛ وتقدّم بكتب أعمالهم لهم، وزاد في إقطاعهم، وخلع على أبي الفتح بن وَرَّامٍ وأعيان القوم، وعادوا طائعين.

ولمّا رأى العسكرُ الصلحَ قد تمّ سألوا السلطان نهبَ بلاد ابن مروان، وقالوا: قد خرج عن الطاعة. وساعد البساسيري، فأذن لهم، فشغعت الجماعة الذين حضروا فيه وقالوا: قد أخطأ مثل ما أخطأنا، وقد وقع العفو عنا، فكذا هو. فقال السلطان: لا أدري هل هو مقيم على طغيانه أو رجع إلى الطاعة؟ فقالوا: نحن نسير إليه وننظر ما يكون منه. ثم ساروا نصفَ جمادى الآخرة، وسار السلطان ثامن عشره، فنزل على ظاهر بَلَدٍ^(١)، واتفق أن أبا الفضل

(١) بَلَدٌ: مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ. معجم البلدان ١/ ٤٨١.

ناصر ابن إسماعيل العلوي كان قد نفذه السلطان - لَمَّا قدم بغداد - إلى ملك الروم في المهادنة، فجعل طريقه في رجوعه على ابن مروان، ومعه رسول ملك الروم بهدايا كثيرة، فلما اجتمع بهما ابن مروان أنزلهما وأكرمهما، وقال: أقيما عندي، فإن الطريق مَخَوْفٌ، والعرب قد انتشرت في الجزيرة، وأخاف عليكما. فأقاما، وبعث إليه البساسيري وقريش ودُبَيْس يطلبون النجدة، فأنجدهم، ووقع للعلويّ إنما احتبسهما انتظاراً لما يكون من السلطان مع العرب، فإن كانت لهم عليه أخذ ما معهما وفاز به، فكتب العلويّ إلى السلطان يُعرِّفه ذلك، فوقر في صدر السلطان، ولَمَّا وقع الصلح، وتفرَّق العرب، وانفصل البساسيري عنهم، أرسل ابن مروان خادماً إلى خاتون زوجة السلطان، واستجار بها، وأهدى إليها هدية، وقال: إنما فعلت ما فعلت خوفاً على بلادي، وأمّا احتباس الرسولين فإنما كان شفقةً عليهما، وأنا شيخٌ قد نَيْتُ على السبعين، وما قصدي إلا حفظ هذه الثغور من النهب والخراب. فأعادت خاتون على السلطان ما قال، وسألته فيه، فقال: قد تيقنتُ احتباسه للرسولين طمعاً فيما كان معهما ومعاونته لأعدائنا، وترئُصه الدوائر بنا، وهذا ذنبٌ لا يُغفر، وكان الأمير قوني بن داود - نسيب السلطان - أغار على بلاده وسبى، ولَمَّا كان رسول الروم بميافارقين كتب إلى خاتون كتاباً عنوانه: عبدُ مولاتنا الملكة الجليلة والخاتون الكريمة البطريقُ غلامُ الملكِ القديس المنفرد بممالك الروم، وذكر فيه أن الأمير قوني بن داود قد شنَّ الغارات، ونهب أعمال الملكية، وأتى عليها بالكلية، ولولا تعويل الملك القديس صاحبي على ما بينه وبين الحضرة السلطانية من العهود والمواثيق لكانت عساكره قد خرجت إلى الأطراف، وأمرهم بالانصراف عنها، وذكر كلاماً طويلاً.

وأما العرب فتفرقوا في البلاد^(١)، وسار بعضهم إلى البساسيري، وبعضهم إلى الجزيرة^(٢).

وفي جمادى الآخرة ورد كتابٌ من بخارى [من وراء النهر] أنه وقع عندهم وباءٌ لم يُعْهَدُ مثله ولا سُمِعَ به، حتى إنه خرج من هذا الإقليم في يوم واحد ثمانين عشرة آلاف جنازة، وحُصِرَ من مات منه، فكانوا ألف ألف وست مئة وخمسين ألفاً إلى تاريخ الكتاب، ومن بقي من الناس يمرُّون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً خاليةً، وأبواباً

(١) في (خ): البادية، والمثبت من (ف).

(٢) بعدها في (م) و(م) زيادة: وفي ربيع الأول توفي أبو العلاء المعري. قال ابن الصايء.

مغلقة، وتعدى الوباء إلى أذربيجان، ثم إلى الأهواز والبصرة وواسط وتلك الأعمال، حتى كانت تُحفر زُبِيَّة^(١) فيلقى فيها عشرون وثلاثون من الناس، وسببه قلة القوت والجوع، ومن مات قريباً من دجلة سحبوه برجله وألقوه فيها، وكان الضعفاء ينشون الموتى ويشوونهم ويأكلونهم [وكذا الكلاب كانت تنبش الموتى وتأكلهم] وكان لرجل أرض يسأل في بيعها بعشرة دنانير فلم يفعل، فباعها بخمسة أرطال خبز، فأكلها ومات من وقته. ووصل إلى بغداد نسخة كتاب كُتِبَ من سمرقند إلى بلخ مضمونه أنه يُدفن في كل يوم من صالحى المسلمين خمسة آلاف وستة آلاف وأكثر، وغُلقت الأسواق، واشتغل الناس ليلاً ونهاراً بدفن موتاهم وغسلهم وتكفينهم، وكلُّ دار يدخلها الموت يأتي على الجميع، وكان المريض ينشق قلبه عن دم المُهَجَّة، فتخرج من فمه قطرة فيموت، أو دودة لا يدري ما هي فيموت.

وغُلقت من البلد من دور المُقَدِّمين وأعيانهم أكثر من ألفي دار، ولم يبق فيها كبير ولا صغير ولا [حرٌّ ولا عبدٌ ولا] وارث، وتاب الناس [كلهم]، وتصدَّقوا بمعظم أموالهم، وأراقوا الخمر، وكسروا المعازف، ولزموا المساجد وقراءة القرآن، والنساء في البيوت يفعلن كذلك، وكلُّ دار فيها خمر يموت أهلها في ليلة واحدة، ومن كانت معه امرأة حرام ماتا معاً، ومات قيِّمٌ مسجد وله خمسون ألف درهم، فلم يقبلها أحد، ووُضعت في المسجد تسعة أيام بحالها، فدخلت أربعة أنفس من الخُلج^(٢) ليلاً، فأخذوها فماتوا عليها.

وكلُّ من أوصى إلى إنسان مات الموصى [له] قبل الموصي، وكلُّ مسلمين كان بينهما هجران فلم يصطلحا ماتا، وكان عند الفقيه عبد الجبار بن أحمد سبع مئة فقيه، فمات عبد الجبار والفقيه بأسرهم، وكان في دار رجل من الأغنياء من الأولاد والأهل والغلمان ما يوفي على الخمسين، فماتوا كلُّهم في ثلاثة أيام، وخلفوا أكثر من ألفي ألف دينار، ولم يبق منهم إلا طفل صغير ابن خمس سنين، والمال جميعه في الدار لا يجسر أحد أن يدخلها، ونزل تركيٌّ على مريض من السطح وعليه لحاف ديباج، فأخذه التركي، فمات ويده في طرف اللحاف، وباقيه على صاحبه.

(١) الزُبِيَّة: الحفرة التي تُحفر لصيد السباع. اللسان (زي).

(٢) الخُلج: المتعبون والمرتعدون الأبدان. اللسان (خلج).

قال: ودخلنا على مريض قد طال نزعه سبعة أيام، فأشار بإصبعه إلى بيت في الدار، فدخلناه وفَتَّشناه وإذا بخابية خمر، فأقْبِنَاهَا، فخلَّصه الله تعالى من الموت. [قال: ولم يكن مثل هذه الواقعة منذ مات آدم وإلى الآن] ولا يعلم من مات في أرض المشرق، بل قيل: إن سمرقند من غُرَّة شوال وإلى سلخ ذي القعدة أُحصي مَنْ خَرَجَ من أبوابها من الجنائز، فكانوا مئتي ألف وستة وثلاثين ألفاً.

قال: وأصل هذا الوباء من تركستان بلاد الكفار، ثم خرج منها إلى بلاد ساغون وكاشغر والشاش وفرغانة وتلك النواحي، ووصل إلى سمرقند في سابع عشرين رمضان في هذه السنة، ولم يعبر النهر، حتى إن جماعة من أهل بخارى عبروا إلى بلخ، فنزلوا في رباط منها، فماتوا بأجمعهم دون أهل بلخ، وكان الموت في الشباب والكهول والصبيان والنساء من العوام، فأما الملوك والعساكر والمشايخ والعجائز فلم يَمُتْ منهم إلا القليل، ثم انفجرت فوهة بما وراء النهر من مكان تجتمع فيه المياه من الأمطار والثلوج، فغرقت الجبال والقلع والبلاد والضياع وعامة الناس، فلم يبق إلا القليل.

وردَّ عميد الملك على دُبَيْس ضياعه فوجدها خراباً لا أَكَّارٌ^(١) فيها ولا حيوان، فبعث رسولاً إلى بعض النواحي ليجمع له الرجال، فلقية جماعةً فقتلوه وأكلوه. ووقع حريقٌ ببغداد لم يُعْهَدْ مثله قبله^(٢).

قال ابن الصابئ: عبرتُ إلى الجانب الغربي يوم الأربعاء لسبعِ بَقِينٍ من جمادى الآخرة وقد احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكنيس وأصحاب السقط وباب الشعير و[سوق] العطارين وسوق العروس وغير ذلك، فرأيتُ أمراً موحشاً يدلُّ على خراب البلد وانقراضه، ورأيتُ المساكن قد علاها التراب وعليها دلائل السخط والانتقام^(٣).

ولم تقع عيني على من عليه ثوب صحيح ولا نظيف، ورأيتُ في قطيعة عيسى خمسة أنفس، وبطلت الصلاة في جوامع بغداد إلا جامع الخليفة ﴿فَلَيْكَ مَسْكِنُهُمْ لَوْ شِئْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

(١) الأكار: الحراث. المعجم الوسيط (أكر).

(٢) العبارة في (ف) و(م) و(م): لم يحترق قبله مثله.

(٣) بعدها في (م) و(م): زيادة: والإدبار. وما بين حاصرتين من المنتظم ١٨/١٦، والبداية والنهاية ٧١/١٢.

[وفي هذا الشهر لَمَّا سار طُغْرُبُك إلى مرج باغيدا من بَلَد، وقُرْب من حِلل العرب، أجمفوا منه إلى العين الباردة، وظفِرَ قوم من العسكر بأعقاب رحالهم فنهبوا، وكتب قريش وابنُ مزيد إلى هزارسب: أنت كنت الواسطة بيننا وبين السلطان، وضمنت لنا انصرافه عن جزيرتنا، وقد نهبنا قوم من أصحابه. وبلغنا أن إبراهيم يَنَال ورد هَمَذان سائراً نحونا، فعرض الكتاب على عميد الملك، فقال: ما نحن إلا على ما بذلناه، ولا كان مسيرنا لُقْبِح رأي تجدّد لنا، وإنما قصدنا بلاد ابن مروان، وما أقدر أن أقول للسلطان: ارجع عن بلادك، ولكن إذا تنجّز أمر ابن مروان سألته أن يخفف الوطأة عن هذه الديار - وأتفق أن ابن مروان سَرَح الرسولين ومعهما هدية فيها خمس مئة ثوب ديباج، وخيل، وغيرها - وسأل هزارسب للسلطان فيه شفاعته، ولا قبِلَ له هدية، وردّها، وفي هذا الوقت أخذ جاسوس في بغداد وعُوقب، فأقرّ أنه من الرّحبة، وأن البساسيري على عزم قصد بغداد، فانزعج الناس، وجمع عميد العراق أصحابه من البلد إلى دار المملكة، وأصعد إلى سورها الحجارة والنفط، وعمل الدبّابات والعرادات والمجانيق، ووقع التشاغل بالتحصين، فصارت الدارُ مثل القلعة، فبينما هم على هذا ورد كتاب من عسكر السلطان يقول: وصل سيف الدولة إبراهيم يَنَال من هَمَذان في عشرين ألف رجل، فخرج الناس للقائه، ولم يتخلّف إلا السلطان، ولَمَّا وقعت عينه على عميد الملك قال له بالتركية: صالحت بين العرب والسلطان وجعلتهم أهلاً لذلك، وإنما يكون الصلح بين النُّظراء، ومَنْ هؤلاء الكلاب حتى لا يُقْلَع أصلهم؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما اقتضته الحال، فإن جموعهم كانت كثيرة، وكان الصلح الذي التمسوه سبباً لتشتُّتهم، فبلغت منهم من غير أن يُسْفِك دَم، والآن فأنت نائب السلطان ونحن تبعٌ لك، فافعل ما تراه. وقال له: انزل في خيمتك اليوم، وأرخ واسترخ، وغداً تُجمع بالسلطان. فنزل، وقُدِّمت إليه الهدايا وهو يفرّقها في العُزّ الذين على رأسه، إلا عقد جوهر قدّمه عميد الملك، فتركه في قبائه، ولَمَّا كان من الغد دخل على السلطان، فقام له، ومشى إليه، وقبِلَ إبراهيم يده، فأكبّ السلطان على رقبته فقبّلها، وتحادثا ساعة، وعاد إلى خيمته، وأجمفت العرب من العين الباردة^(١).

(١) هذه الزيادة من (ف).

وفيها دخل الأمير أبو منصور بن الملك أبي كاليجار على الوزير هبة الله بن أحمد النسوي إلى داره بشيراز ومعه الديلم، فقتله في دَسْتِه، وقتل أصحابه، ونهب ماله وأسبابه، وكان هذا الوزير جلدأ شهماً، واسع الصدر، عزوف النفس، وهو كان السبب في تملك هذا القاتل شيراز وردّه إليها بعد خروجه منها دفعات، وتكفّل به وبأخيه أبي سعد تكفلاً أخلص ونصح فيه، ولم يعرف سبب قتله.

وسار السلطان إلى الجزيرة وحاصرها، فلاذ أهلها بالعمو، وقرّروا على نفوسهم مالا، فقبل منهم، وتقدّم بعض العساكر إلى ميّافارقين وقد خرج ابن مروان منها إلى أمِد، فنهبها ودخلوها، وقتلوا وسبّوا، وبعث ابن مروان إلى إبراهيم يّنال، واستجار به، فوعده أن يشفع فيه إلى السلطان.

[وفي هذه السنة] صعد عشرون غلاماً^(١) من العزّ إلى دير النصارى في بلد ميّافارقين فيها أربع مئة راهب، فذبّحو منهم مئة وعشرين، واشترى الباقون نفوسهم بستّ مكايك ذهباً وفضة.

وفي شعبان نادى عميد الملك: لا يبقى غداً أحدٌ إلا ويحضر إلى دار المملكة، فلم يتخلف أحد، وشرعوا في تنمة السور الجديد، وعمل فيه القضاة والشهود والطالبون والعباسيون والتجار وغيرهم، [وكان القضاة يعملون والطبالس عليهم ينقلون فيها الآجر والتراب].

وفي شعبان ورد دُبيس إلى هيت قاصداً بلاده، متسلماً لها، وعاد قريش إلى الرّحبة يريد البساسيري، وكان قد قال لدُبيس: أنت تنحدر إلى بلادك، وقد خلّت من العساكر، فيمكنك المُقام بها وعمارتها، وأما أنا فبلادِي خراب، والسلطان فيها، وما أرى من نيّته ما تطيب به نفسي، وأنا قاصد الرّحبة، وأدبّر أمري مع أبي الحارث.

وفي هذا الوقت نظر عميد الدولة^(٢) في المارستان العُضدي، وكان قد خلا من دواء وطبيب وشراب، وكان المرضى على وجه الأرض، وعند رأس المريض بصلة يشمّها، وعطش أحدهم فقام بنفسه إلى جُبّ الماء فوجده حمأة ودوداً، وكان أبو الحسين بن

(١) في (م) و(م): رجلاً.

(٢) في (م) و(م): عميد الملك .

المهتدي [ويُعرف بابن الغريق] قد ردَّ أمره إلى يهودي [يُعرف بالهاردين]، فاستولى عليه، وأكل أوقافه، وبلغ عميد الملك، فصرف العناية إليه، فأول ما فعل انتزع أوقافه من أيدي الطامعين فيها والمتغلبين عليها، وضمنها بما وفر به ارتفاعها توفيراً لم يعهد مثله.

وشرع في العمارة، فقال: إنه طبق المارستان بخمسة آلاف طابق. وقيل: بعشرة آلاف، وكان على بابه سوق فيه مئة دكان قد دثرت، فأعادها وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعزُّ وجودها شيئاً كثيراً.

وأقام الفُرش واللُّحف للمرضى، والأرانج الطيبة، والأشربة والثلج، والمستخدمين والأطباء والفراشين، فكان فيه ثمانية وعشرون طبيباً، ونساء طبَّاحات، وبوَّابون، وحرَّاس، والحمام والبستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار والبقول، والسفن على بابه تنقل الضعفاء والفقراء، والأطباء يتناوبونهم بكرة وعشياً، وينامون عندهم بالنوبة.

وكان فيه عدة جباب فيها السكر الطَّبْرَزْد والأبلوج واللوز والمشمش والخشخاش وسائر الحبوب، والبراني الصيني، وفيها العقاقير، وأربع قواصر فيها الإهليلج الأصفر والكابلي والهندي، وأربع قواصر تمر هندي وزنجبيلٌ وعودٌ ونَدٌّ^(١) ومسكٌ وعنبر، والراوند الصيني في البراني، والترياق [و] الفاروق وجميع العقاقير، وصناديق فيها ثياب جُدِّد للمرضى، ومناديل، وصناديق فيها أكفان، وقدور صغار وكبار، وآلات، وأربعة وعشرون فراشاً، و[ذكر ابن الصابىء] أشياء ما توجد في دور الخلفاء والملوك، وكذا فعل في مارستان باب محول، [وقد دُثِر، فلا عين ولا أثر، أما المارستان العضدي فقائم، ولكن على هذا الوجه فلا].

وُحِتِن فيه في هذه السنة ثلاث مئة وأحد وثمانون صيباً، وكان راتب المقيمين فيه من المستخدمين في كل يوم ألفاً وثمان مئة وسبعين رطلاً من الخبز، [ولعلَّ ما فيه اليوم عشرون رطلاً، وكان المتولي لهذه الأشياء الشيخ الأجلُّ ابنُ يوسف].

وفي هذا الوقت أصدت البساسيري من الرحبة إلى بالِس وهي بلد عطية بن الزُّوقلية صاحب حلب، وأخذ الرقَّة - من أصحاب ثمال بن صالح بن الزُّوقلية - أميرُ حلب، وردَّها

(١) النَّدُّ: ضرب من النبات يتبخَّر به. المعجم الوسيط (ندد).

على منيع بن وثاب صاحب حرّان، وفي هذا الوقت صالح ابن مروان السلطان بعد جهد ومشقة على مئة ألف دينار، وسار إلى سنجار، فصعد أهلها على الأسوار وشتموه، وقالوا: قد غزونا أول في قُتْلِمِش لَمَّا هزّمه البساسيري، واليوم يغزو فيكم، وأخرجوا قلائس الغزّ وجماعهم ومن قتلوه عام أول على القصب، وعرف قُتْلِمِش السلطان ما فعلوا به لَمَّا انهزم، فزاد ذلك في حنقه، وكان أميرها مجلي بن جرجي، ففتحها السلطان عنوةً، وسبى نساءها وأطفالها، ونهب أموالها، وأحرق جامعها، ونقضت أخشابها، ودزست آثارها - على^(١) أن القتل أتى على أربعة آلاف نفس وأكثر - وخاف المنزل، فارتحل السلطان نحو فرسخ، ثم عاد إلى تل أعفر، وعزم على أن يلحقها بسنجار، فراسلوا إبراهيم [ينال]^(٢) فسفر لهم عند أخيه، فقال: أمّنتهم على أنهم لا يقيمون بالبلد، فأجابوه، فأوقف العسكر صقّين، وقال: من تعرّض لأحد قتلته. فخرج الناس بأموالهم وذخائرهم ونسائهم وأولادهم، وجاء إلى السلطان رجلٌ فقال: لي ذخيرة في بيتي قدرها ثلاثة آلاف دينار، فابعث معي من يستخرجها. فبعث معه، وعاد الرجل بالدنانير إلى السلطان، فقال له إبراهيم ينال: هذا المال لي. فقال: هذا لصاحبه خذّه والحقّ بأهلك.

ورتب أبا علي الخازن بتل أعفر، وعاد إلى الموصل، وطالبه أخوه إبراهيم بإقطاع يُصْرَف وارتفاعه في إقامته، فقال: ما أعطيك إلا ما تفتحته أنت، وإذا سرت إلى الرحبة فهي لك. فنقل عليه، وسرح جماعة ممن كان معه إلى خراسان؛ لعدم الأقوات، وتجدد للسلطان رأي في العود إلى بغداد، فسلم إلى إبراهيم ينال الموصل وأعمالها، وخلع عليه، وأعطاه عشرين ألف دينار، وانحدر السلطان إلى بغداد، فنصب إبراهيم خشباً في العسكر، وقال: من تعرّض لنهب قتلته. فقامت الهيبة، ورجع الناس إلى أوطانهم، وعدل بهم فأحبّوه.

وجاءه رجل فقال: أنا أحمل إلى الخزانة كل يوم مئة دينار من ضرائب البلد، فأحضر القاضي وأعيان البلد وقال: هذا من بلدكم، وقد قال كذا وكذا، فهل أنتم راضون بفعله؟ فقالوا: إذا أعفينا من العجم رضينا. فقال: إن الله قد وهب لكم ذاك،

(١) في (ف): قيل.

(٢) هذه الزيادة من (ف).

وقد اقتصرنا منكم على الخراجات عند إدراك الغلات. فدَعَوْا له وشكروه، ونادى بذلك في البلد، وأظهر من حُسن السيرة ما سكنت إليه النفوس.

وفي [يوم السبت] سادس شوال وهو سادس كانون الأول طار بعُكْبَرَا جراد أسود [يسمى الكيلون وكان كثيراً] جاء من المشرق، وعبر الفرات [ولم يُسمع جراد طار في كانون إلا هذا] وعاش أهل العراق به، فإنهم كانوا يأكلونه نيئاً ومطبوخاً.

ونزل السلطان على باب تكريت سادس عشر شوال، وسبق العسكر إلى بغداد، فنزلوا دور الناس، وأقام السلطان بقلعة تكريت إنساناً يقال له: النسائي، وتسلم الحصن الذي بكرخ سامراء.

وفي نصف الشهر قدم بغدادَ بدرانُ بن دُبَيْس وأبو الفتح بن وَرَّام، فتلقَّاهما عميد العراق، وحمل إليهما الإقامة، واستدعاهما من الغد رئيسُ الرؤساء، وَعَتَبَ على ابن وَرَّام بميله إلى البساسيري، فقال: أنتم أحوجتُمونا إلى ذلك، فإن السلطان لَمَّا ورد هذه البلاد أبعثتم الناس كلَّهم بنهب عساكره الأموال والأولاد والأهل، فلم يبقَ لنا مكانٌ نأويه، فأصعدنا خوفاً على جوعنا وأموالنا. فخاطبه بالجميل، ووعدته عن الخليفة بكل خير، ووصل السلطان إلى القُفُص^(١) لستَ بقينَ من الشهر، وخرج رئيسُ الرؤساء لاستقباله ومعه بدران وابن وَرَّام والخدمُ الخاصُّ، وبين يديه الأعيان والأمرء والجنائب والعمَّارية، وعلى رأسه مِطْرَد^(٢)، وأصحابه الخليفةُ للسلطان فَرَجِيَّة ديباج مشجَّرة بالذهب، وعمامة قصب مُذهبة، وفرساً أدهم بمركب ذهب، وتلقَّاه عميد الملك، ودخلوا إلى السلطان وهو جالس في خَرَكَاة^(٣) على سرير وعليه قباءُ أسود وقلنسوة سُمُور، فلَمَّا قَرَّبَ منه جثا السلطان على ركبتيه، وتناول له، وعانقه بيديه، ثم طرح كرسياً من ذهب مُرْصَعاً بالجواهر، فجلس عليه، ثم قام وأدَّى رسالة الخليفة، وهي تشتمل على الأُنس بقُربه، والسرورِ بسلامته، والإحماذ لسعيه، فأوماً إلى تقبيل الأرض [وقال: أنا خادم هذه الدار العزيزة، ومتشرفٌ بخدمتها، ومبتهجٌ بقربي منها.

(١) القُفُص: قرية مشهورة بين بغداد وُعُكْبَرَا. معجم البلدان ٤/ ٣٨٢.

(٢) المِطْرَد: الراية والعلم. تكملة المعاجم ٧/ ٣٧.

(٣) الخَرَكَاة: الخيمة الكبيرة، وقد تقدمت مراراً.

ولبس الفرجية، ووضع العمامة على المخدّة، وأحضر الفرس، وأوى إلى تقبيل الأرض] وقال: قد تتابع الإنعام عليّ من غير استحقاق، فقال له رئيس الرؤساء: موضِعك من أمير المؤمنين الكبير، ومحلّك الخطير، وأنت النائب عنه في رعيته، وقد حصل - بحمد الله - من الثقة ما لم يبقَ معه احتشام، وسيتواصل إنعام أمير المؤمنين على ما يوجهه حُسنُ رأيه، وجميلُ اعتقاده، فقال: قد زاد شوقي إلى مشاهدة تلك الطلعة الكريمة، وكثُر ارتياحي إلى رؤية تلك الغرة الشريفة. فقال: لن يتأخر ذلك. ثم التفت السلطان إلى ابن وَرّام وبدران وقال: كيف نور الدولة؟ فقاما وخدمًا، وذكر قريشاً فقال: ذاك الغدّار الكذّاب الخوّان. فشكر رئيس الرؤساء ديبساً وقال: ما فعل الذي فعل مع البساسيري الملعون إلا رعايةً لنزوله عليه، وانصوائه إليه، وإلا فنور الدولة الموثوق بعهده المرغوب في مثله.

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة وصل السلطان إلى الخليفة، وكانت الرسائل منه قد تكرّرت بطلب الاجتماع، وكان جلوس الخليفة جلوساً عاماً مشهوداً، جلس رئيس الرؤساء في صحن السلام، واستدعى النقباء والقضاة والشهود والأعيان وبدران وابن وَرّام وعميد العراق وحواشي السلطان، وبعث إلى السلطان ابني المأمون الهاشميين وخادمين وحاجبين، واستدعاه إلى دار الخلافة، فنزل في طيار الخليفة، وكان قد زين وأرسل إليه، وانحدر خواصّه في الزبازب وعلى الظهر فيلان يسيران بإزاء الطيار والعساكر، والناس من جانبي بغداد، ثم قدّم له مركب من مراكب الخليفة، فنفر من الفيلين، فقدّم له من خيله فرسٌ أشهبٌ، فركبه وعليه قبّاء ديباج أسود، وعمامة مثلثة مذهبة، ودخل الدار وبين يديه أولاد الملوك أبو علي وأبو طالب كامروا ابنا أبي كاليجار بن بويه، وقُتلمش ابن عمه، وأشرف القوّاد والديلم، ونحو من خمس مئة غلام من الترك، والكلُّ بغير سلاح، فلما بلغ باب دهليز صحن السلام وقف طويلاً على فرسه إلى أن فتح له الباب، فنزل ودخل ماشياً، وتلقاه رئيس الرؤساء، وكان الخليفة في بيت في صدر البهو، وعلى بابه ستور ديباج، فرُفعت، وإذا بالخليفة جالسٌ على سرير ارتفاعه من الأرض سبعة أذرع في دَسْتِ ديباج منقوشاً وعليه العمامة والقميص المضمّتان، وعلى منكبه بردة رسول الله ﷺ ويده القضيب، فلما رآه

السلطان قَبَلَ الأَرْضَ دفعاتٍ كثيرة، ونُصِبَ له كرسيٌّ دون السرير لطيفٌ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: أصعدُ ركن الدولة إليه، وأصعدُ معه محمد بن منصور الكُنْدَرِي مفسراً له ومعبراً عنه. فصعدا، وقال الخليفة لرئيس الرؤساء: قُلْ لركن الدين: أمير المؤمنين حامدٌ لسعيك، شاكراً لفضلك، زائداً للشغف بك، وقد ولّاك جميع ما ولّاه الله من بلاده، وردّ إليك مراعاةً عبادته، فاتّق الله فيما ولّاك، واعرف نعمته في ذلك، واجتهد في عمارة البلاد، وصلاح العباد، ويسر العدل، وكفّ الظلم. ففسّر له عميدُ الملك القول، فقام وقَبَلَ الأَرْضَ، وقال: أنا خادم أمير المؤمنين وعبدُه ومتصرّفٌ على أمره ونهيه، ومتشرّفٌ بما أهّلني به واستخدمني فيه، ومن الله أستمدُّ المعونة والتوفيق.

ثم أذن أمير المؤمنين أن تُفاض^(١) عليه الخلعُ، فنزل إلى بيتٍ في جانب البهو، وخلع عليه الخلع المعهودة، وعاد فجلس بين يدي الخليفة، ومنعه التاج أن يُقبَل الأَرْضَ، وقلّده الخليفة سيفاً، وخاطبه بملك المشرق والمغرب، وزاده لواءً ثالثاً عقده بيده، وأحضر العهد وقال: ليُسَلِّمَ إليه. وقُرِئ صدرٌ منه، وقال له: اعملْ بموجبه. ثم قال: أمرك بما أمرك الله به، وأنهاك عما نهى الله عنه، وهذا منصور بن محمد نائبنا لديك، وخليفتنا عندك، فاحتفظ به، وارزعه فإنه الثقة الأمين، انهض - على اسم الله تعالى - مصاحباً محروساً. فسأله مصافحته، فأعطاه يده فقبّلها ووضعها على وجهه دفعتين، وخرج والأكابر بين يديه، ورُفعت الألوية من سطح صحن السلام، وخطب من الرواشن لثلا يكسر في الأبواب، وجلس للهناء، وبعث في اليوم الثالث للخليفة خمسين غلاماً أتراكاً على الخيول بالسيف والمناطق، وعشرين رأساً من الخيل، وخمسين ألف دينار، وخمس مئة ثوب أنواعاً، ولرئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

وفي ذي الحجة قبض صاحبُ مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري وعلى ثمانين من أصحابه، وقُررت عليهم أموالٌ عظيمة، وكتب خطة بثلاثة آلاف ألف دينار، وأصله من يازور؛ قرية بالساحل من أعمال الرملة، وترامت به الحال إلى أن صار قاضيها، وله بها أملاك نفيسة، فاتفق أنه لحقها أمرٌ عجز به عن ارتفاعها، ولم يوفٍ للسلطان ما يجب له عليها، وأدى البعض، وبقي البعض، فطالبه مُعزُّ الدولة

(١) العبارة في (ف): ثم إن أمير المؤمنين أفاض.

والي الرملة، فقال: ليس لي طاقة. فكتب إلى مصر، فأمر بحمله إليها، فأقام على باب الديوان مطالباً، وخرج الناس إلى الحجّ، فسأل السيدة والدة المستنصر بالله أن تفسح له في الحج، فأذنت له في الإشراف على خزانها الخارجة إلى مكة، فحجّ وعاد إلى المدينة، فزار قبر رسول الله ﷺ، وجلس يدعو، فسقطت على كتفه من حائط حجرة النبي ﷺ قطعة من الخلق^(١) الذي عليه، ورأى ذلك أحد الخُدّام، فجاء إليه وقال له: يُهنيك ولاية كبيرة جليّة، تملك بها أمور المسلمين. قال: ومن أين لك هذا؟ فقال: هذه عادة هذا الحائط إذا وقع منه قطعة على أحد، فعاهدني على ما تفعله معي إذا صحّ ذلك. فقال: مهما شئت. وعاد إلى مصر فلم يحلّ الحول عليه حتى تقلد الوزارة، ووفى للخادم بما ضمن له، وصارت له بالمسجد وساكنيه عناية عظيمة، ومراعاة شديدة.

وقال ابن الصايغ: وفي العشر الآخر من ذي الحجة قبض بمصر على الوزير أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري وعلى ثمانين نفساً من أصحابه، وقرّر عليه ثلاثة آلاف ألف دينار، وعلى ابن زكريا القاضي - وكان خصيصاً به - مئة وخمسون ألف دينار، ومن أبي الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربي مثله، ومن قرابته خمسون ألف دينار، واختلفت الروايات في سبب ذلك، وكانت فيه سماحة وكرم وجود وسعة صدر، وله ألقاب كثيرة: الناصر لدين الله، غياث المسلمين، الأوحّد، الأجلّ، سيد الوزراء، وتاج الأصفياء، وقاضي القضاة، وداعي الدعاة، وعلم المجد، خليل أمير المؤمنين وخاصته، أبو الفرج البابلي، صاحب الديوان لتنفيذ الأمور. وكان البازوري حنفي المذهب.

وقال أبو يوسف القزويني: التقاني يوماً وهو متوجّه إلى الديوان، فلما رأني وقف فوق الناس لأجله، فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إليك. قال: في أيّ شيء؟ قلت: قصدني الناس في حوائج التزمّت قضاءها. فقال: لا أبرح من مكاني حتى تذكرها. فجعلت أذكر له حاجة حاجة وهو يقول: نعم وكرامة، حتى قال في الحاجة الأخيرة: السمع والطاعة. ومضى، فانفرد أميراً كان معه إليّ وقال لي: أيّ شيء أنت؟ قلت: لا شيء. قال: لا شيء، يقول له الوزير: السمع والطاعة، عرفني ما أنت؟ قلت: من أهل العلم. فقال: استكثر مما معك، فإنه إذا كان في شخص أطاعته الملوك.

(١) الخلق: ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران. تاج العروس (خلق).

وفيهما تُوفِّي

أحمد بن عبد الله^(١)

ابن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود بن المُطَهَّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث ابن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن عبد بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران [ابن الحاف] ^(٢) بن قُضاعة، أبو العلاء، التنوخي، المعري، وتنوخ: قبيلة من اليمن، توفي يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول بمعرفة النعمان من الشام، ومولده يوم الجمعة لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، وأصابه جُدريٌّ في سنة سبع أو أواخر سنة ست وستين وثلاث مئة، فغشي حدقيه بياضٌ فعمي، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، أو اثنتي عشرة، وسمع اللغة وأملى فيها كتباً، وله بها معرفة تامة، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين، وأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم عاد إلى منزله، فلزم منزله، وسمي نفسه: رَهينَ المحسّين - يعني منزله وبصره - وأقام خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض ولا اللبن، ويُحرّم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس خشن الثياب، وأقواله تدلُّ على اختلاط عقيدته.

وقال الخطيب التبريزي: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أعرف اعتقاده، فقلت: ما أنا إلا شاكٌّ. فقال: وكذا شيخك. وكان ظاهرُ أمره الميل إلى مذهب البراهمة؛ لأنهم لا يرون ذبح الحيوان، ويجحدون الرسل.

وقد رماه جماعة بالزندقة والإلحاد، وذلك أمر ظاهر في كلامه وأشعاره، وأنه يردُّ على الرسل، ويعيب الشرائع، ويجحد البعث.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: ومن العجائب أنَّ المعري أظهر ما أظهره من كفره الباراد الذي ما بلغ فيه مبلغ شبهات الملحدين، بل قصّر فيه كلَّ التقصير، وسقط من عيون

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٠-٢٤١، والمنتظم ١٦/ ٢٢-٢٧، ومعجم الأدباء ٣/ ١٠٧-٢١٨. وينظر السير

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عدد من مصادر الترجمة.

الناس، ثم اعتذر بأن لقوله باطناً، وأنه مسلمٌ في الباطن، فلا عقل ولا دين؛ لأنه يظهر بالكفر، وزعم أنه مسلم في الباطن، وهذا عكس قضايا المنافقين والزنادقة، فإنهم تظاهروا بالإسلام، وأبطنوا الكفر، فهل كان في بلاد الكفار حتى يحتاج إلى هذا، فلا أسخف عقلاً ممن سلك هذه الطريقة التي هي من طريقة الكفار والمنافقين والزنادقة، وهو مثل ابن الرِّيُوندي وأبي حيان، فإنهم انكشف كلامهم عن مثل هذا، يتكلمون في التوحيد والتحميد والتقديس، ويدسّون في أثناء ذلك المحن.

قال ابن الصابىء: وله شعر كثير، وفيه أدب غزير، ويرمى بالإلحاد، وأشعاره دالة على ذلك، ولم يكُ يأكل لحوم الحيوان ولا البيض ولا اللبن، ويقتصر على ما تُنبته الأرض، ويحرّم إيلام الحيوان، ويظهر الصوم في زمانه جميعه، ونذكر طرفاً مما بلغنا من شعره الدالّ على إلحاده، فمنه: [من الكامل]

صَرَفُ الزمانِ مُفَرَّقُ الإلْفَيْنِ فاحْكُمُ إلهي بينَ ذاكَ وبينِي
أنهيتَ عن قتلِ النفوسِ تعمُّداً وبعثتَ تقبضُها مع المَلَكِينِ
وزعمتَ أن لها مَعاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحالينِ^(١)
ومنه: [من البسيط]

تناقضُ ما لنا إلا السكوتُ لَهُ وأن نعودُ بمولانا من النارِ
يدٌ بخمسِ مئينِ عسجدٍ وُدَيْتُ ما بألها قُطِعَتْ في ربعِ دينارِ^(٢)
ومنه: [من الوافر]

قرانُ المشتري زُحلاً يُرَجى وإيقاظِ النواظرِ من كراها
وهيهاتَ البريةُ في ضلالِ وقد فَطِنَ اللبيبُ لما اعتراها
تقضّى الناسُ جيلاً بعدَ جيلِ وخُلِّفَتِ النجومُ كما تراها
تقدّمَ صاحبُ التوراةِ موسى وأوقَعَ بالخسارِ من اقتراها
فقالَ رجألهُ وحيّ أتاهُ وقالَ الناظرونَ بلِ افتراها
وما حجّبي إلى أحجارِ بيتِ كؤوسِ الخمرِ تُشربُ في ذراها

(١) معجم الأدياء ٣/ ١٧٠ و ١٧٤ .

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٧٣٧ ، ومعجم الأدياء ٣/ ١٦٩ .

تهاونَ بالمذاهبِ وأزْدراها

إذا رجع الحكيمُ^(١) إلى حِجَاهِ

ومنه: [من الوافر أيضاً]

ولا يدري الفتى لمن الثُّبورُ
وإنجيلُ ابنِ مريمَ والثُّبورُ^(٢)

عقولٌ يستخِفُّ بها حليمٌ
كتابُ محمدٍ وكتابُ موسى

ومنه: [من الطويل]

وترزقُ مجنوناً وتُعطي أحمقا
رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

إذا كانَ لا يحظى برزقك عاقلُ
فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على امرئِ

ومنه: [من الطويل أيضاً]

وحقُّ لسُكَّانِ البسيطةِ أن يبكوا
زجاجٌ ولكن لا يُعادُ له سَبْكُ^(٣)

ضَحِكنا وكان الضُّحكُ منا سفاهةً
تُحطُّمنا الأيامُ حتى كأننا

ومنه: [من الكامل]

بمبشِّرٍ يأتي بصدقِ المحشرِ
لو صحَّ ذاكَ لكانَ عينَ المتجرِ
يرجو التجارةَ من ضريحِ المحفرِ

خبرُ المقابرِ في القبورِ ومنَ لهمُ
هيهاتَ يُرجى ميتٌ في قبره
خسرتَ تجارتهم فهل من ميِّتِ

ومنه: [من البسيط]

حتى مقالكَ ربي واحدٌ أحدٌ
فإن تَفَكَّرَ فيه معشرٌ لحدوا
كتبُ التناظرِ لا المغني ولا العمْدُ^(٤)

في كلِّ أمرِكَ تقليدٌ تدينُ بهِ
وقد أمرنا بفكرٍ في بدائعِهِ
لولا التنافسُ في الدنيا لما وُضِعَتْ

ومنه: [من البسيط أيضاً]

من غفلتي وتوالي سوءِ أعمالي
مُشاةٌ وفدي ولا ركبانِ أجمالِ

أستغفرُ اللهَ في أمني وأوجالي
قالوا هَرِمْتَ ولم تطرُقْ تهامةً في

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/١٦٨٩ - والأبيات فيه - : الحضيف، وفي معجم الأدياء ٣/١٦٧ : الحليم.

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/٥٩٥ ، ومعجم الأدياء ٣/١٧٠ .

(٣) لزوم ما لا يلزم ٣/١١٥٤ ، ومعجم الأدياء ٣/١٢٧ و١٦٩ .

(٤) معجم الأدياء ٣/١٧١ .

رأى رأوا غير فرض الحج أمثالي
ولا ابن عمي ولم يعرف مني خالي
قوم سيقضون عني بعد ترحالي
أو لا فإني بنار مثلهم صال
فيه نصيب وهم رهطي وأشكالي
أم يقتضي الحكم تعتابي وتساكي
ولا أنادي مع الكفار أمثالي
وبت لم يخطروا مني على بال
ولا نجاح لأفيال كأفيال
كأن نصرت بجبريل وميكال
فيقبض الروح مغتاضاً بإعجال
وجندهم بين طواف وبقال
لكن تعبد إعظام وإجلال

ويهود حارث والمجوس مزللة
دين وآخر دين لا عقل له^(١)

لديه الصحف يقرؤها بلمس
سطوراً عاد كاتبها بطمس
وجاء محمداً بصلاة خمس
وأودى الناس بين غد وأمس
فيقنع من تنسك بالتأسي
فما تخليك من قمر وشمس

فقلت إني ضرير والذين لهم
ما حج جدي ولم يحجج أبي وأخي
وحج عنهم قضاء بعدما ارتحلوا
فإن يفوزوا بغفران أفر معهم
ولا أروم نعيماً لا يكون لهم
فهل أسر إذا حمت محاسبي
من لي برضوان أدعوه فيرحمني
باتوا وحتفي أمني لباكيهم
قالوا وهم لقبول في كنافهم
لما هتفت بنصر الله أيدي
وجاءني ذاك عزرائيل يغضب لي
فما ظنونك إذ جندي ملائكة
تبارك الله لا أرجو مثوبته
ومنه: [من الكامل]

هفت الحنيفة والنصاري ما اهتدث
إثنان أهل الأرض ذو عقل بلا
ومنه: [من الوافر]

كأن منجم الأقوام أعمى
لقد طال العناء فكم يعاني
أتى عيسى فعطل دين موسى
وقيل يجيء دين بعد هذا
ومن لي أن يعود الدين غصاً
ومهما كان من دنياك أمر

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٦٩ ، ومعجم الأدباء ٣/ ١٦٨ .

بِمِثْلِ الْمَيِّنِ فِي لُجَجٍ وَقَمَسِ
وَهَجْرَةً مَنَزِلٍ وَحُلُولُ رَمَسِ
وَإِنْ قُلْتُ الْيَقِينَ أَطَلْتُ^(١) هَمْسِي

صَدَقْتُمْ هَكَذَا نَقُولُ
وَلَا مَكَانٍ إِلَّا فِقُولُوا
مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَكُمْ^(٢) عَقُولُ

قَانَ يَنْصُرُ وَتَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلُ
فَهَلْ تَفَرَّدَ يَوْمًا بِالْهَدَى جَيْلُ

مُكَايِدًا مِنْ هَمُومِ الدَّهْرِ قَامُوسًا^(٤)
إِلَى الْبَرِيَّةِ عَيْسَاهَا وَلَا مُوسَى
وَصَيَّرُوا دِينَهُمْ لِلْمَلِكِ^(٥) نَامُوسًا
حَتَّى يَعُودَ حَلِيفُ الْغِيِّ مَغْمُوسًا^(٦)

وَلَكِنْ قَوْلُ زُورٍ سَطَّرُوهُ

لَحَا الرَّحْمَنُ دَارًا لَا تُدَارِي
قُدُومُ أَصَاغِرٍ وَرَحِيلُ شَيْبِ
إِذَا قُلْتُ الْمُحَالَ رَفَعْتُ صَوْتِي
ومنه: [من مخلع البسيط]

قَلْتُمْ لَنَا خَالِقٌ قَدِيمٌ
زَعَمْتُمُوهُ بِلَا زَمَانٍ
هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيءٌ
ومنه: [ومن البسيط]

دِينٌ وَكُفْرٌ^(٣) وَأَنْبَاءٌ تُقَالُ وَفُرُ
فِي كُلِّ جَيْلٍ أَبَاطِيلٌ يُدَانُ بِهَا
ومن ذلك أيضاً: [من البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ أَصْبَحَتْ فِي لُجَجِ
قَالَتْ مَعَاشِرُ لَمْ يَبْعَثْ إِلَهُكُمْ
وَإِنَّمَا جَعَلُوا الرَّحْمَنَ مَأْكَلَةً
وَلَوْ قَدَّرْتُ لِعَاقِبَتِ الَّذِينَ طَعَّوَا
ومنه: [من الوافر]

وَلَا تَحْسَبْ مَقَالَ الرَّسُلِ حَقًّا

(١) في (خ): ظلمت، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في لزوم ما لا يلزم ٩٢٠/٢، ومعجم الأدباء ١٦٤/٣، وتاريخ الإسلام ٧٢٦/٩.

(٢) في لزوم ما لا يلزم ١٢٢٧/٣، ومعجم الأدباء ١٧٢/٣: لنا، والأبيات فيهما.

(٣) في النسختين (خ) و(ف): بيض، وهو تحريف ظاهر، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ١٢٢٥/٣، ومعجم الأدباء ١٧٢/٣، وتاريخ الإسلام ٧٢٥/٩.

(٤) في النسختين (خ) و(ف): ناموسا، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٨٩٢/٢، ومعجم الأدباء ١٧٢/٣.

(٥) في اللزوم وتاريخ الإسلام: وصيروا لجميع الناس.

(٦) في اللزوم: مرموسا.

وكانَ الناسُ في عيشٍ رخيٍّ^(١)

ومنه: [من البسيط]

والروحُ أرضيَّةٌ في رأي طائفةٍ
تمضي على هيئة الشخص الذي سكنت
وكونها في صفيح^(٢) الجسم أحوجها
وإنما حمل التوراة قارئها
إنَّ الشرائع ألفت بيننا إحناً
وهل أبيضت نساء الروم عن عرض

ومنه: [من المتقارب]

لعمري لقد طال هذا السَّفَرُ
أخرج من تحت هذي السماء
لحا لله قوماً إذا جئتهم
وإن غفرت موبقات الذنوب
هنيئاً لجسمي إذا ما استقرَّ

ومنه: [من الطويل]

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما
ومنه: [من السريع]

لا يكذب الناسُ على ربهم

فجاؤوا بالمحالِ فكدروه

وعند قوم ترقى في السماوات
فيه إلى دار نعى أو شقاوات
إلى ملابس عننتها وأقوات
كسب الفوائد لا حب التلاوات
وأورثتنا أفانين العداوات
للعرب إلا بأحكام النبوات

علي وأصحت إحدى النكر^(٣)
فكيف الإباق وأين المفر
بصدق الأحاديث قالوا كفر
فكل معايبهم تغتفر
وصار لعنصره في العفر^(٤)

ديانتكم مكر من القدماء^(٥)

ما حرك العرش ولا زلزالا^(٦)

(١) في معجم الأدباء ١٧٣/٣ : رغيد.

(٢) في لزوم ما لا يلزم ٢٨٢/١ : طريح.

(٣) في لزوم ما لا يلزم ٨٢٣/٢ : وأصحت أحدو الثفر.

(٤) لزوم ما لا يلزم ٨٢٣/٢ ، والعفر: التراب.

(٥) لزوم ما لا يلزم ٦٠/١ .

(٦) لزوم ما لا يلزم ١٢٧٥/٣ .

ومنه: [من البسيط]

كونٌ يُرى وفسادٌ جاء يتبعُهُ تباركُ اللهُ ما في خلقه عبثٌ
وإنَّ يُؤذَنُ بلالٌ لابنِ آمنَةَ فبعده لسجّاحٌ قد دعا شَبَثُ^(١)
وله كتاب عارض به السور والآيات، سمّاه «الفصول والغايات» وغير ذلك،
[وشعره فيه إلحادٌ ما اشتهيتُ أذكره.

قال ابن الصابئ: وحدثني الوزير فخر الدولة أبو نصر بن خميس قال: حدثني [المنادي الشاعر] قال: [اجتمعتُ بأبي العلاء بمعرة النعمان، فقلت له: ما هذا الذي يُحكى عنك؟ فقال: حسدني قوم، فكذبوا عليّ. فقلت: علامَ حسدوك، وقد تركتَ لهم الدنيا والآخرة؟ فقال: والآخرة؟! قلت: إي والله. ثم قلتُ: فلمَ تمتنعُ من أكل الحيوان، وتلوم من يأكله؟ فقال: رحمةٌ مني له، وإنهم يأكلون ما تأكلون. قلت: لا، بل تقول: إنه من شرِّ الناس، فلعمري إنهم يجدون ما يأكلون، وعن اللّحماني يتعوّضون. [قلت]: فما تقول في السباع والجوارح التي خُلقت لا غذاءَ لها غير لحوم الناس والبهائم، ولا طعامَ تعاضُّ به عنها، وما أنت بأرأفَ من الخالق بخلقه، ولا أحكمَ منه في تدبيره وإن كانتِ الطبائعُ المحدثة لذاك على مذهبك، فما أنت بأحدقَ منها، ولا أتقنَ صنعاً له، ولا أحكمَ عملاً حتى تعظّلها ويكون رأيك وعقلك أرجحَ منها؟ فسكت.

وقال محمد بن الصابئ: أذكر عند ورود الخبر بموته، وقد تذاكرنا أمره وكفره ومعنا غلام يُعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والسلامة والعفة^(٢) والديانة، فلَمَّا كان من غد ذلك اليوم قال: رأيتُ البارحة في منامي رجلاً شيخاً ضريراً وعلى كتفيه أفعيان قد تدلّيا إلى فخذيه، وكلُّ منهما يرفع فمه إلى وجهه، فيقطع منه قطعة لحم فيزدردها وهو يصيح ويستغيث، فقلت: مَنْ هذا؟ وقد أفرعني ما رأيته، ورؤّعني ما

(١) شَبَثُ: هو ابن رُبَيعي، كان مؤذَنُ سَجّاح - زوج مسيلمة - ثم أسلم، ثم كان مَمَّنَ أعان على عثمان، ثم صحب علياً، ثم صار من الخوارج عليه، ثم تاب. تقريب التهذيب (ترجمة شَبَثُ بن رُبَيعي).

(٢) في (م) و(م) و(١م): والفقه.

شاهدته، فقل لي: هذا المعري الملحّد. قال: فعجبنا من ذلك، فاستظرفناه حيث وقع عقيب ما تفاوضناه من كفره^(١).

وقال الشيخ أبو الفرج [ابن]^(٢) الجوزي: مات المعري بمعة النعمان عن ستّ وثمانين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً، في ربيع الأول، ودُكِرَ لنا أنه أنشد على قبره ثمانون مرثيةً رثاه بها أصحابه ومن قرأ عليه ومال إليه، حتى قال بعضهم: [من الكامل] إن كنت لم تُرِقِ الدماء زهادةً فلقد أرقّت اليوم من عيني دما^(٣) وهؤلاء بين أمرين، إمّا جهالٌ بما كان عليه، وإمّا قليلو الدين، ومن سبر خفيات الأمور بانت له، فكيف بهذا الكفر الصريح في هذه الأشعار؟!

[قلت: وقد ذكره الغزالي في كتاب له سمّاه «سر العالمين وكشف ما في الدارين» وقال:^(٤) حدثني يوسف بن علي بأرض الهركار قال: دخلتُ معرة النعمان وقد وشى وزيرٌ محمود بن صالح صاحب حلب إليه بأنّ المعري زنديق لا يرى إفساد الصور^(٥)، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل، فأمر محمود بحمله إليه من المعرة إلى حلب، وبعث خمسين فارساً [إليه] ليحملوه، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة، فدخل عليه عمّه مسلم بن سليمان وقال له: يا ابن أخي، قد نزلت بنا هذه الحادثة، الملك محمود يطلبك، فإن منعناك عجزنا، وإن أسلمناك^(٦) كان عاراً علينا عند ذوي الذمام، ويركب تنوخاً العار والدلة. فقال له: هوّن عليك يا عم، فلا بأس علينا، فلي سلطانٌ يذُبُّ عني. ثم قام فاغتسل وصلّى إلى نصف الليل، ثم قال لعلامه: انظر أين^(٧) المريخ. فقال: في منزلة كذا وكذا. فقال: زنه واضرب تحتته وتداً، وشُدّ في رجلي خيطاً واربطه إلى الوتد. ففعل غلامه ذلك، فسمعناه وهو يقول: يا قديم الأزل، يا علة العلل، يا صانع

(١) في (م) و(م) (١م): أمره.

(٢) هذه الزيادة من (ف).

(٣) قائله علي بن الهمام، وهو في معجم الأدباء ١٢٦/٣، وفيه: جفني، بدل: عيني.

(٤) في (خ) و(ف) بدلاً منها: وقال الغزالي.

(٥) تحرفت في (م) إلى: الصوم.

(٦) في (م) وحدها: أرسلناك.

(٧) في (ف) وحدها: إلى.

المخلوقات، وموجد الموجودات، أنا في عزك الذي لا يُرام، وكفك^(١) الذي لا يُضام، الضيوف الضيوف، الوزير الوزير، ثم ذكر كلمات لا تُفهم، وإذا بهدّة عظيمة، فسأل عنها، فقيل: وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها، فقتلت الخمسين.

وعند طلوع الشمس وقعت بطاقةً من حلب على جناح طائر، فيها: لا تُزعجوا الشيخ، فقد وقع الحمام على الوزير. قال يوسف بن علي: فلما^(٢) شاهدت ذلك دخلت على المعري، فقال: من أين أنت؟ قلت: من أرض الهركار. فقال: زعموا أنني زنديق. ثم قال: اكتب. وأملى عليّ [أبياتاً من شعره] وقال: [من البسيط]

باتوا وحتفي أمانيهم مصورة ^(٣)	وبت لم يخطروا مني على بال
وفوقوا لي سهاماً من سهامهم	فأصبحت وقعاً عني بأميال
فما ظنونك إذ جندي ملائكة	وجندهم بين طوافٍ وبقال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت	فرعون ملكاً ونجت آل إسرائيل
أقيم خمسي وصوم الدهر ألفه	وأدمن الذكر ^(٤) أكاراً بأصال
عبدن أظرف في عامي إذا حضرا	عيد الأضحى يقفو عيد شوال
إذا تنافست الجهال في حلل	رأيتني من خشين القطن سربالي
لا آكل الحيوان الدهر مائة	أخاف من سوء أعماله وآمالي
وأعبد الله لا أرجو مثوبته	لكن تعبد إكرام وإجلال
أصون ديني عن جعل أو مله	إذا تعبد أقوام بأفعال

قال المصنف رحمه الله: ولا خلاف في سعة علم الرجل، وغزارة فضله، وصحة نسبه، وأنه أوجد زمانه، وله المصنفات الحسان، [التي فاق بها على أبناء الزمان] منها: «لزوم ما لا يلزم» في عدة مجلدات، و«استغفر واستغفري» في ست مجلدات، و«رسالة الغفران» و«رسالة الملائكة» و«زجر النابح» و«بحر الرجز» و«سقط الزند»

(١) في (م) و(م) و(١م): سلطانك.

(٢) في (م) و(١م): وأنا.

(٣) في (خ): وحتفي أمانى أمانيهم، وفي (ف): وحتفي أمانى بصورة، والمثبت من الوافي بالوفيات ١٠٩/٧.

(٤) في (خ): الدهر، والمثبت من (ف)، والوافي بالوفيات.

و«اللامع العريزي في شرح المتنبي» و«السجع السلطاني» و«الأيك والغصون» وغير ذلك.

وقال التبريزي: كان لأبي العلاء عشرة من الكُتَّاب يملي على كلِّ واحدٍ فنوناً غيرَ ما يملي على الآخر، وهم يكتبون له النثر البليغ، فمنه:
القولُ ذهبَ في الهواء، والقومُ غرقوا في الأهواء.
و: إذا حانَ القضاء ضاقَ القضاء.

و: نِعَمَ النساءُ المُعْتَزِّلات، وأبعدَ الله المُتَعَزِّلات؛ الأول من العَزَل، والثاني من العَزَل.

وقال: قبضَ ما شاء وبسط، وأقسطَ وما قسط.
وقال: ألقَ مقاديرَ الله ولا تَلِقْ^(١)، وحَلَّقَ لفظك ولا تختلِقْ، وأضِئْ بالمعروف وأتَلِقْ^(٢)، وأطلقَ يمينك فغداً تنطلق.

وقال: أين الثَّرةُ من العَثرة، والفرَقْدُ من العَرَقد.
وقال: الساعي في أثره فارس عصا بصير، لا فارس عصا قصير.
وقال: سَعَفُ النخيل خيرٌ من إسعاف النحيل.
وقال: وأين موضع السَّيل من مطلع سُهيل.
وقال: إذا لقيتَ جارك فحيِّه، وإن نزع بك الزمنُ عن حيِّه.
وكان يقول: أوردني أبي مورداً لا بُدَّ أن أردّه، ووالله لا أوردته أحداً بعدي.
ولمَّا احتضر قال: [من مجزوء الكامل]

هذا جناه أبي عليٍّ وما جنيتُ على أحد

(١) من الوَلَق: وهو الإسراع بالشيء في إثر الشيء. المعجم الوسيط (ولق).
(٢) العبارة في النسختين (خ) و(ف): وارض بالمعروف وألق، والتصويب من الفصول والغايات لأبي العلاء المعري ص ٩٣، وتألَّقَ البرقُ وأتلَّقَ: لمع. الصحاح (ألُق).

[وذكر ابن الهَبَّارِيَّة في «فلك المعاني» وقال]: بلغَ أبا نصر بن أبي عمران داعي الدُّعَاة لصاحب مصر حديثه، فاستدعاه إلى حلب وكان بها، فسمَّ أبو العلاء نفسه فمات. [قلت] ولم يوافق ابن الهبارية على هذا أحد، وقد أجمعوا على أنه مات على فراشه الموت الطبيعي، ومن شعره: [من الخفيف]

يا مريضاً أحلَّ بي كلَّ داءٍ إنَّ نفسي تفديكَ كلَّ الفداءِ
حلَّ ما بي فليس يُرجى شفائي كيف يشفى المريضُ من ألفِ داءِ
وقال: [من الطويل]

إذا ما خَبَّتْ نارُ الشَّبِيبَةِ ساءني ولو نُصِّرَ لي بينَ النُّجومِ خِباءِ
وقال: [من البسيط]

يأتي على الناسِ إمساءً وإصبحاً وكلُّهم لُصُروفِ الدَّهرِ نَسَاءُ
وكم مضى من قبيلٍ أو يماثلُهُ من المَقاولِ سرُّوا الناسَ أم ساؤوا
تتوى^(١) الملوكُ ومصرُّ في تغيُّرِهِم مصرُّ على العهدِ والأحساءِ أحساءُ
خَسِستِ يا أمَّنا الدنيا فأفَّ لنا بني الخسيصةِ أوباشُ أخِساءِ
وقد نطقتِ بأصنافِ العِظَاتِ لنا وأنتِ فيما يظنُّ القومُ خرساءُ
يموجُ بحركِ والأهواءِ غالبَةٌ لراكبيهِ فهلُ للسُّفنِ إرساءُ
إذا تعظَّمتِ يوماً كنتِ قاسيةً وإنْ نظرتِ بعينٍ فهى شوساءُ
نالوا قليلاً من اللذاتِ وارتحلوا برغْمِهِم فإذا التَّعماءُ بأساءُ
وقال: [من الكامل]

البابِليَّةُ بابٌ كلُّ بليَّةٍ فَتَوَقَّيْنَنَّ هَجُومَ ذاكِ البابِ
جَرَّتْ مَلاحاةُ الصديقِ وهجره وأذى النديمِ وفُرقةَ الأحبابِ^(٢)

قال المصنف رحمه الله: من ها هنا أخذ جدي رحمه الله فقال في «المدهش»^(٣): محبة

الدنيا محنة، عيونها بابلية، كم فتحت باب بلية؟ ولا حيلة كحيلة، من عين كحيلة.

(١) تتوى: تذهب. المعجم الوسيط (توي).

(٢) لزوم ما لا يلزم ١/٢٠٤.

(٣) المدهش ص ١٥٥.

وقال: [من المتقارب]

تجىء يهود بتوراتها وإسحاقها جرّ إسحاقها
ورقوا لأملاكهم عنوة وإسحاقها الأول النبي عليه السلام، والثاني إبعادها.
وفيها مواعيد عرقوبها وقائبة الطير من قوبها^(١)
وقالوا أحاديث رُقوا بها

وقال: [من الخفيف]

سلك النجد في قطار المنايا شبّ فكر الحصيف ناراً فما يح
قَطْرِيَّ وَنَجْدَةٌ وَشَبِيبُ^(٢) سُنُّ يَوْمًا بِعَاقِلٍ تَشْبِيبُ^(٣)
وقال: [من الخفيف أيضاً]

زاره حتفه فقطب للمو زودوه طيباً ليلحق بالناس
بات في قبره ووُسد يُمنا هُ فخلناه قام فينا خطيبا
للمنايا حواطب لا تبالي أهشيماً جرّت لها أم رطيبا
صرقت كأسها فلم تسق شرباً مرة خالصاً وأخرى قطيبا^(٤)
وقال: [من الخفيف]

أسطرلاب حولهن جهول وهو يرجو هدى بأسطرلاب
والبريا لفظ الزمان ولا بُد له من تغير وانقلاب^(٥)
وقال: [من البسيط]

الحمد لله قد أصبحت في دعة أرضي القليل ولا أهتم بالقوت
وشاهد خالقي أن الصلاة له أجل عندني من دُرّ وياقوت

(١) القوب: البيض. المعجم الوسيط (قوب).

(٢) هؤلاء الثلاثة هم: قَطْرِيَّ بن فجاعة، ونجدة بن عويمر، وشيب بن يزيد، وهم من زعماء الخوارج.

(٣) لزوم ما لا يلزم ١/١١٩، والتشبيب: الغزل.

(٤) لزوم ما لا يلزم ١/١٥٠، والقطيب: المزوج.

(٥) لزوم ما لا يلزم ١/٢١٠.

إِنْ عُوشِرُوا بَيْنَ مَحْبُوبٍ وَمَمْقُوتٍ
إِلَى مَحَلٍّ مِنَ الْأَجَالِ مَوْقُوتٍ^(١)

لَا الْكُونَ فِي جُمْلَةِ الْعُفَاةِ^(٣)
أَوْ مِنَ الصَّمْتِ وَالْخُفَاتِ
أَغْنَى عَنِ الْأُسْرَةِ الْكُفَاةِ^(٤)
أَنْ لَسَنْ فِي الْوُدِّ مُنْصَفَاتِ
فِي زَمَنِ الْفَقْدِ وَالْوَفَاةِ

وَرُبَّ يَوْمٍ كَرِيَةٍ دُونَ تَكْرِيَةٍ^(٥)
كِلَاهِمَا خُصَّ فِي شِدْقٍ بَتَهْرِيَةٍ^(٦)
وَخَارَتِ الْعَيْسُ فِي آثَارِ خَرِيَةٍ^(٧)
شَاكٍ وَأَلْزَمَ تَدْخِينًا بِكَبْرِيَةٍ^(٨)

وَعَيْشِي حِمَامِي وَالْمَنِيَّةُ لِي بَعْتُ
فَأَفْضَلُ مِنْ أَمْثَالِكِ النَّفْرُ الشُّعْتُ
إِلَى اللَّهِ حَزْنٌ مَا تَوَطَّأَنَّ أَوْ وَعْتُ^(٩)

وَلَا أَعَاشِرُ أَهْلَ الْعَصْرِ إِنَّهُمْ
يَسِيرُ بِي وَبِغَيْرِي الْوَقْتُ مَبْتَدِرًا
وَقَالَ: [مِنَ الْمَخْلَعِ الْبَسِيطِ]

الصَّوْنُ^(٢) فِي جُمْلَةِ الْعَوَافِي
قَدْ خَفَّتِ الْقَوْمُ وَاسْتَرَا حُوا
أَرَى انْكَفَائِي إِلَى الْمَنَايَا
وَمِنْ صِفَاتِ النِّسَاءِ قِدْمًا
وَمَا يَبِينُ الْوَفَاءُ إِلَّا
وَقَالَ: [مِنَ الْبَسِيطِ]

خَلَصْتُ مِنْ سَبَرَاتِ فِي السَّبَارِيَةِ
كَمْ بِالسَّمَاوَةِ مِنْ صِلٍّ وَمِنْ أَسَدٍ
مَا زُرْتُ دَارَكَ حَتَّى شَفَنِي تَعْبِي
وَالْخَيْرُ فِي الْأَرْضِ كَالْأَتْرَجِ مَنِبَتُهُ
وَقَالَ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

ثِيَابِي أَكْفَانِي وَرَمْسِي مَنَزَلِي
تَحَلِّي بِأَسْنَى الْحَلِيِّ وَاحْتَلْبِي الْغَنَى
يَسِيرُونَ بِالْأَقْدَامِ فِي سُبُلِ الْهَدَى

(١) لزوم ما لا يلزم ٢٧٨/١ .

(٢) في (خ) و(ف): الكون، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٢٩٥/١ والأبيات فيه.

(٣) العوافي: الدوارس. والعفاة: الفقراء.

(٤) الكفاة: الكافلون.

(٥) السَّبَرَاتُ؛ جمع سَبْرَةٍ: وهي الغداة الباردة. والسَّبَارِيَةُ؛ جمع سَبْرُوتٍ: وهي الأرض لا نبات فيها. وكَرِيَةٍ: تام. وتَكْرِيَةٍ: موضع بالعراق.

(٦) السَّمَاوَةُ: بادية الشام. والصِّلُّ: الحَيَّة. وتَهْرِيَةُ الشُّدْقِ: اتساعه.

(٧) شَفَّهَ التَّعَبَ: أمحله وأهزله. وخَارَتِ الْعَيْسُ: تعبت. وَالْخَرِيَّةُ: الدليل الحاذق.

(٨) لزوم ما لا يلزم ٢٧٧/١ .

(٩) لزوم ما لا يلزم ٣٠٤/١ .

وقال: [من الوافر]

تجمّع أهلُهُ زُمرًا إليه
تُخاطبُنَا بأفواهِ المنايا
وصاحت عِرْسُهُ أودى فصاحوا
من الأيامِ ألسنةً فصاحُ^(١)
وقال يرثي أبا حمزة الفقيه الحنفي: [من الخفيف]

غيرٌ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي
وشبيهٌ صوتُ النّعي إذا قيّد
نوحُ بالكِ ولا ترثمُ شادٍ
سَ بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادٍ
أبكتُ تلكمُ الحمامةُ أم غنّت
صاح هذي قبورنا تملأ الأرز
صاح هذي قبورنا تملأ الأرز
خفّ الوطاء ما أظنُّ أديمَ الـ
سرّ إن اسطعت في الهواءِ رويداً
فقبیحُ بنا وإن بُعدَ العَهْدِ
رُبَّ لحيدٍ قد صار لحداً مراراً
ودفينٍ على بقايا دفينٍ
فسلّ الفرقدين عن ما أحسّاً
كم أقاما على البياض نهاراً
تعبُ كلُّها الحياة فما أغ
إنَّ حُزناً^(٢) في ساعة الموتِ أضعا
خُلِقَ الناسُ للبقاء فضلّت
إنما يُنقلون من دارِ أعمّا
ضجعة الموتِ رقدةً يستريحُ الـ
أبناتِ الهديلِ أسعدنَّ أو عدنَّ
إيه لله درُّكُنَّ فأنتنَّ الـ

(١) لزوم ما لا يلزم ١/٣٦٤ .

(٢) بعدها في النسختين (خ) و(ف) زيادة: يكون، ولا يستقيم الوزن بها، والبيت على الصواب في تاريخ بغداد ٤/١٤٠، ومعاهد التنقيص ١/١٣٦، والحامسة المغربية ٢/٨٨١، وغيرها من المصادر.

ما نسيئُنَّ هالكاً في الأوانِ الـ خالٍ أودى من قَبْلِ هُلكِ إِيادِ
بَيْدَ أَنِّي لا أرتضي ما فعلتُنَّ وأطواقُكُنَّ في الأجيادِ
فتَسَلَّبِنَ واستَعِرْزَنَ جميعاً مِنْ قَمِيصِ الدُّجى ثيابَ جِدَادِ
ثُمَّ عَرِّدَنَّ في الماتَمِ وانْدُبْ نَ بِشَجْوٍ مع الغواني الخِرَادِ^(١)
قصدَ الدهر من أبي حمزة الأوابِ مولى جِجَى ومولى اقتصادِ
وفقيهاً أفكاره شِدْنٌ للثُع مانٍ ما لم يَشِدْهُ شِعْرُ زيادِ
راوياً للحديث لم يُحْوجِ الـ راوي من صدقهِ إلى الإسنادِ
أنفق العمرَ^(٢) دائباً يطلب العِدْ مَ بِكَشْفِ عن أصلهِ وانتقادِ
[وَدَّعا أَيُّها الحَفِيَّانِ ذاك الـ شَخْصَ إِنَّ الوداعَ أَيَسْرُ زادِ^(٣)]
فاغسِلاه بالدمعِ إن كان طُهراً وادفناه بين الحشا والفقوادِ
واتلوا النعشَ بالقراءة والتَّ سبيح لا بالنَّحيب والتَّعدادِ
رُبما أخرجَ الحزينُ جوى التُّك لٍ إلى غيرِ لائقٍ بالسَّدادِ
مِثْلَ ما فاتتِ الصلاةُ سُلَيْما نَ فأحنى على رقابِ الجيادِ
وهو من سُخِّرت له الإنس والجنُّ بما صحَّ من شهادةِ صادِ
كيفَ أصبحتَ في محلِّكَ بعدي يا جديراً مِنِّي بحُسنِ افتقادِ
قد أقرَّ الطبيبُ منه بعجزِ فتَقَضَّى تردُّدُ العُوادِ
والذي حارتِ البريئةُ فيه حيوانٌ مستخرَجٌ من جمادِ
واللبيبُ الأريبُ مَنْ ليس يغترُّ بِكَوْنِ مصيرُهُ لفسادِ
وقال: [من المنسرح]

سِرْتُ ثمانينَ طالباً أجلي والحَينُ إثري كأثَّهُ حادي
ما أنا بالمُلحدِ الكفورِ ولا أسألُ مولايَ غيرَ إلحادي
ناديتُ أينَ الذينَ كان بهم يشرفُ هذا الفناءُ والنَّادي

(١) الخراد؛ جمع خرود: وهي البكر التي لم تَمَسَّ. المعجم الوسيط (خرد).

(٢) في (ف): العلم.

(٣) ما بين حاصرتين ليس في (خ) و(ف) وهو في بغية الطلب في تاريخ حلب ٤٥٣/٢ .

وَمِرْزَوْدِي مُنْفَضٌّ مِنَ الرَّادِ
تَاجٌ إِلَى عُدَّةٍ وَعَتَادِ

فمنهنَّ بيضٌ في العيونِ وسودُ
تمرُّ بنا الساعاتُ وهي أسودُ
ويَنبُؤه من بعد النُّهى ويسودُ
فحسبُك عاراً أن يُقالَ حسودُ
فنقدُ وأما خيرُهُ فوعودُ
ولو أنَّ كلَّ الطالعاتِ سُعودُ
وقامت بما^(١) حَفْنَا ونحنُ قُعودُ
وكَمَّ حَبَّرْتَنَا بالغمامِ رُعودُ
ووجدانها في الأربعينِ فُعودُ
أبينني وبينَ الحادثاتِ عُعودُ
إذا قِيدَتِ الأنضاءُ فهَي تَقودُ
فما في زمانٍ أنتَ فيه سُعودُ
يمرُّ فيقضي حاجةً ويعودُ
مضتْ ولها عند القضاءِ وُعودُ
ونحنُ قيامٌ فوقها وقُعودُ

شأناً ولكنَّ فيها ضعفَ إسنادِ
فالعقلُ خيرٌ مُشيرٌ ضمُّه النادي
مثلَ امرئِ القيسِ ناجي طائرِ الوادي
نفسِي وفارقتُ عُوادي لأعوادي

مزادتي الآنَ لا بلالَ بها
والسفرُ الدائمُ المواصلُ يحُدُ

وقال: [من الطويل]

ألا إنَّ أخلاقَ الفتى كزمانه
وتأكلنا أيامنا فكأنما
وقد يخملُ الإنسانُ في عُنفوانه
فلا تحسُدنَّ قوماً على فضلِ نعمةٍ
عرفتُ سجايا الدهرِ أمَّا شرورهُ
إذا كانتِ الدنيا لذلكَ محلُّها
رقدنا ولم نملكِ رُقاداً عن الأذى
وكَمَّ أنذرتنا بالسيولِ صواعقُ
حياتي بعد الأربعينِ منيةً
فما لي وقد أدركتُ خمسةَ أعقُدِ
كأننا من الأيامِ فوقَ ركائبِ
ألا إنَّما الدنيا نُحوسُّ لأهلها
ويوصي الفتى عندَ الحمامِ كأنه
وما يئستُ من رجعةِ نفسٍ طاعنِ
تسيرُ بنا الأيامُ وهي حثيثةُ

وقال: [من البسيط]

جاءتُ أحاديثُ إنَّ صححتُ فإنَّ لها
فشاوِرِ العقلِ واتركِ غيرَهُ هدرأ
وعظتُ قوماً فلم يُرْعُوا لموعظتي
والعفو^(٢) أمْلُ من ربي إذا حُضرتُ

(١) في النسختين (خ) و(ف): وما، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٤٠٦/١، والأبيات فيه.

(٢) في (خ): والعقل، والمثبت من (ف) كما في لزوم ما لا يلزم ٤٩٩/١، والأبيات فيه.

وقال: [من الوافر]

تَلْفَعُ بِالْعَبَا إِخْوَانُ صِدْقٍ
فَلَا تَعْجَبُ لِأَحْكَامِ^(١) اللَّيَالِي

وقال: [من الخفيف]

مَا مُقَامِي إِلَّا مُقَامَةٌ عَانٍ
إِنَّ جَسْرًا^(٢) عَلَى الْمَنِيَةِ حَزْمٌ
تَبِعَتْ تُبْعًا وَفِي الْقَصْرِ غَالَتْ
وَطَوَتْ طَيِّئًا وَأَدَّتْ^(٣) إِيَادًا
وَلِقَابُوسَ^(٤) كَانَ قَيْسٌ وَفَنَّا
سَوْفَ أَلْقَى مِنَ الزَّمَانِ كَمَا لَا
وَلَوْ أَنِّي السُّهَاءُ أَوْ النَّسْرُ قَدْ شَا

وقال في بني شيبه: [من الوافر]

وَفِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ شَرُّ قَوْمٍ
وَإِنَّ رَجَالَ شَيْبَةَ سَادِنِيهَا
قِيَامٌ يَدْفَعُونَ النَّاسَ شَفْعًا
إِذَا أَخَذُوا الزَّوَائِفَ أَوْ لَجَوْهُمْ
لَعَلَّ قِرَانَ هَذَا النَّجْمِ يَهْدِي
فَقَدْ أودى بِهِمْ نَصَبٌ وَظَمٌ
أَتَتْهُمْ دَوْلَةٌ قَهَرَتْ وَعَزَّتْ

وَأَوْسَعَ غَيْرُهُمْ سَرَقًا وَلَا ذَا
فَإِنَّ صَرُوفَهَا بُنِيَتْ عَلَى ذَا

كَيْفَ أُسْرِي وَفِي يَدِ الدَّهْرِ أُسْرِي
وَالْبِرَايَا مِنْ فَوْقِهِ فَوْقَ جَسْرِ
قِيصْرًا وَانْتَحَتْ لِكَسْرِي بِكَسْرِ
وَأَصَابَتْ مَلُوكَ قَسْرٍ بِقَسْرِ
خُسْرُ^(٥) أَرُوْتُهُ مِنْ فَنَاءٍ وَخُسْرٍ
قَوَا بَعْنَفٍ لَا بِاسْتِقَالٍ وَدَسْرٍ^(٦)
هَدَّتْ عَصْرِينَ مِنْ يَغُوْثٍ وَنَسْرٍ

وَلَيْسُوا بِالْحُمَاةِ وَلَا الْغِيَارِي
إِذَا رَاحَتْ لِكَعْبَتِهَا الْجُمَارِي^(٧)
إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَهَمَّ سُكَارِي
وَإِنْ كَانُوا الْيَهُودَ أَوْ النَّصَارِي
إِلَى طُرُقِ الْهَدْيِ أَمَّمَا حِيَارِي
وَأَيُنْقُطُهُمْ بِمَهْلِكَةِ نَفَارِي
فَبَاتُوا فِي ضَلَالَتِهَا أُسَارِي

(١) في النسختين: لأيام، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٥٣٨/١، والبيتان فيه.

(٢) الجسر: الإقدام.

(٣) في (خ) و(ف): وأردت، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٨٠٤/٢. وأدَّتْ: دَهَتْ.

(٤) قابوس هذا: هو ابن النعمان.

(٥) فنأخر: هو عضد الدولة البويهي.

(٦) الدسر: الطعن.

(٧) الجماري: الجميع.

وأحلف أنهم غير الظهاري
صدورهم بصحته تماري

وقال: [من المتقارب]

فما لابن آدم لا يعتبر
فإن شك في ذلك فليختبر
ويكسر يوماً فلا ينجز
وإن يأتيني حادث أصطبر
فهل هي إلا كجسر غير

وظنوا الظهر متصلاً يقوم
لهم كلم تخالف ما أجنوا

أرى الشهد^(١) يرجع مثل الصبر
وحبره صادق في الحديث
وجبر وكسر له في الزمان
ولكنني أستخير المليك
ودنيائي ألقى بطول الهوان

وقال: [من الكامل]

من دون ظلمك يعقد الزنار
هيهات هذا العار ثم النار^(٢)

يا ظالماً عقد اليمين مصلياً
أتظن أنك للمحاسن كاسب

وقال: [من البسيط]

يا قوم من يشتري ديناً بدينار
أن الصغائر تجني الخلد في النار^(٣)

نادت على الدين في الآفاق طائفة
جنوا كبائر آثام وقد زعموا

وقال: [من الوافر]

ويفتقر المجيز إلى المجازي
ولكن فيه أصناف المجاز^(٤)

تمر حوادث ويطول دهر
وليس على الحقائق كل قولي

وقال: [من الطويل]

ولا يمنع المطروق باب وحارس

تشاء المغاني والقبور دوارس

(١) في (خ): الشعر، وهو تحريف، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٨٢٩/٢، والأبيات فيه. والشهد: العسل بشمعه.

(٢) لزوم ما لا يلزم ٦٣٠/٢، لكن عجز البيت الثاني فيه:

وخبئي أمرك شرةً وشنار

(٣) لزوم ما لا يلزم ٧٣٦/٢.

(٤) لزوم ما لا يلزم ٨٤٤/٢.

تولت بإقبال الحنيفة فارس
ويجني الفتى من بعد ما هو غارس

جميلاً ففي الإحاش ما هو إيناس
وعندي شيطان من الإنس خناس^(١)

أربُع من أهلها دُرس^(٢)
واعظ من شأنه الخرس
أي ليث ليس يفترس
أنا مني كيف أحترس
لم يهنئ زوجه العرس
في يدك السيف والثرس
لم يدافع دونه حرس
أصلها في الموت منغرس^(٣)

ويهلك المرء في قصر له حرس
وإنما هي غول خلقها شرس
مجرى الردى ونظير الماتم العرس^(٥)

فما بقوا لم يفارق وجهها الدنس

يقولون إن الدين ينسخ مثل ما
وما لم يكن فالله ليس بزائل
وقال: [من الطويل أيضاً]

جزى الله عنِّي مؤنسي بصدوده
يخافون شيطاناً من الجنّ مارداً
وقال: [من المديد]

المشيدات التي رفعت
قام لئلام في أذني
كم أبن الغاب من أسد
مهجتي ضد حاربني
إنما دنياك غانية
فالقها بالزهد مدرعا
إن من حانت منيئة
ليس يبقى فرع نابتة
وقال: [من البسيط]

قد يخطيء الموت سار في تنوفته^(٤)
ظن الحياة عروساً خلقها حسن
ونحن في غير شيء والبقاء جرى
وقال: [من البسيط أيضاً]

هل يغسل الناس عن وجه الثرى مطر

(١) لزوم ما لا يلزم ٨٥٨/٢ .

(٢) أربُع دُرس: منازل خالية طامسة.

(٣) لزوم ما لا يلزم ٨٦٩-٨٦٨/٢ .

(٤) التنوفة: الصحراء.

(٥) لزوم ما لا يلزم ٨٧٦-٨٧٥/٢ .

تناسلوا فنى شر بنسلهم
وقال: [من الوافر]

تعالى الله أين ملوك لخم
تحدثت هذه الأيام جهراً
وزوجك أيها الدنيا تمنى
وقال: [من الرجز]

يا رب أخرجني إلى دار الرضا
ظلموا كدائرة تحوّل بعضها
وأرى ملوكاً لا تحوط^(٣) رعية
وقال: [من الطويل]

خصاؤك خير من زواجك حرة
وإن كتاب المهر فيما التمسته
ولبسك ثوب السقم أحسن منظرأ
وقال: [من الطويل أيضاً]

إذا قص آثار الغواية ليحتدوا
وكم ملك في الأرض لاقى خصاصة
وقال: [من المتقارب]

أرى جوهراً حلّ فيه عرض
يُداوي العليل لكيما يصح
تبارك خالقنا ما الغرض
وهل صحّة الجسم إلا مرض

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٧٠ .

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٨٣ .

(٣) في (خ): تحيط، والمثبت من (ف)، ولزوم ما لا يلزم ٢/ ٨٨٨ ، والأبيات فيه .

(٤) المتلمس: اسمه جرير بن عبد العزى، وهو خال طرفة بن العبد.

(٥) في (خ) و(ف): العربي، والمثبت من لزوم ما لا يلزم، والأبيات فيه .

(٦) المتمس: القدر المتن.

(٧) لزوم ما لا يلزم ٢/ ٩٦٠ .

وَأدَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُسْتَرْضُ
وَنَالَ بِهَا الصَّيْتَ ثُمَّ انْقَرَضُ^(١)

يغورُ على طولِ المدى وَيَغِيضُ
فإن زال عنه الماء فهو بغيضُ^(٢)

ولنا هناك جماعةٌ فَرَّاطُ^(٣)
ما فيهم حَيْفٌ ولا إفراطُ
فمتى تَبِينُ لِبَعْثِنَا أَشْرَاطُ
ولهم من الموتِ الزُّوَامُ^(٥) سِرَاطُ
لم يَشْجُكَ الدَّيْنَارُ وَالْقِيرَاطُ

تَطِيْعُ سَبْكَاً لِلدَّرِّ إِنْ يَتَشَطَّى
نِ مَقَالاً مِنْ جَاهِلٍ يَتَحَطَّى
ءَ وَأَرعى آسَأَ وَبُظْمَأَ وَمَطَّأَ^(٦)

فإنَّهُ بِحَيَاةٍ لَيْسَ يَنْتَفِعُ
قَدَمَأَ وَأَدْفَعُ أَوْقَاتِي فَتَنْدَفِعُ
مَنَازِلَأَ بِسَنَاءِ الْعِرِّ تَلْتَفِعُ

فلا تترُكُنْ ورعاً في الحياةِ
فكَمَ ملكِ شَيْدِ الْمَكْرُمَاتِ

وقال: [من الطويل]

ظمئتُ إلى ماءِ الشَّبَابِ ولم يزلْ
تراهُ مع الإخوانِ حِبًّا مُكْرَمَأَ

وقال: [من الكامل]

أما اليقينُ فإننا سَكَنُ الْبِلَى
ولكلِّ دهرٍ حليَّةٌ من أهلهِ
كم لاحِ الأشرَاطُ في جُنْحِ الدُّجَى
وكأنَّ هذا الخلقُ أهلُ قِيَامَةٍ^(٤)
لو لم تُكُنْ مثلَ الجماعةِ زائفاً

وقال: [من الخفيف]

يَسْبُكُ الصَّائِغُ الرُّجَاجَ وَلَا يَسُ
لِيَخْفَ صَاحِبُ الدِّيَانَةِ وَالصُّو
كَيْفَ لِي أَنْ أَكُونَ فِي رَأْسِ شَمَأَ

وقال: [من البسيط]

مَنْ رَامَ أَنْ يُلْزِمَ الْأَشْيَاءَ وَاجِبَهَا
أَرْضِي انتباهي بما لَمْ يَرْضَهُ حُلْمِي
وَخَفَّ بِالْجَهْلِ أَقْوَامٌ قَبَلَّغَهُمْ

(١) لزوم ما لا يلزم ٩٧٩/٢ .

(٢) في لزوم ما لا يلزم ٩٦٩/٢ :

تراه مع الإخوان لا تستطيعهُ

(٣) الفَرَّاطُ: المتقدمون.

(٤) في لزوم ما لا يلزم ٩٩١/٢ : جهنم .

(٥) الزُّوَامُ: العاجل.

(٦) في لزوم ما لا يلزم ١٠٠٩/٢ : وأرعى في الوحشِ آسَأَ وَمَطَّأَ.

حبيبٌ متى تبعدُ فأنت بغيضُ

أما رَأَيْتَ جِبَالَ الْأَرْضِ لَا زِمَةَ

وقال: [من الطويل]

إِذَا خَطَبَ الْحَسَنَاءَ كَهْلٌ وَنَاشِئٌ
وَلَا يُزْهِدُنَهَا عُدْمُهُ إِنَّ مُدَّهُ

وقال: [من المتقارب]

أَخُو سَفَرٍ قَضَدُهُ لِحَدُّهُ
وَدُنْيَاكَ مِثْلُ الْإِنَاءِ الْخَبِيثِ

وقال:

الْفِكْرُ حَبْلٌ مَتَى يُمَسِّكَ عَلَى طَرْفِ
وَالْعَقْلُ كَالْبَحْرِ مَا غِيضَتْ غَوَارِبُهُ
أَبْنِي بِجَهْلِي دَاراً لَسْتُ أَسْكُنُهَا
أَنَّ كُرَّ اللَّهُ ذَنْباً خَطَّه مَلَكٌ
سَرِفْتُ وَاللَّهِ أَرْجُو أَنْ يُسَامِحَنَا
تَرَوْمُ رِزْقاً بَأَنَّ سَمَّوكَ مُتَّكِلاً
إِذَا افْتَكْرْنَا عَلِمْنَا أَنَّ ذَا ضَعْفَةٍ

وقال: [من البسيط]

لَا تَشْرُقَنَّ بِدُنْيَا عَنكَ مَعْرِضَةً
وَاصْرِفْ فَوَادِكَ عَنْهَا مِثْلَمَا انْصَرَفْتُ
يَا أُمَّ دَفِّرِ لِحَاكِ اللَّهِ وَالِدَةَ
لَوْ أَنَّكَ الْعَرْسُ أَوْ قَعْتُ الطَّلَاقِ بِهَا

وقال: [من الوافر]

قَرَارَهَا وَغُبَارُ الرِّكْضِ يَرْتَفِعُ^(١)

فَإِنَّ الصَّبَا فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ
لَأَبْرُكٍ مِنْ صَاعِ الْكَبِيرِ وَأَنْفَعُ^(٢)

تَمَادَى بِهِ السَّيْرُ حَتَّى بَلَغَ
وَصَاحِبُهَا مِثْلُ كَلْبٍ وَلَعُ^(٣)

مِنْهُ يُنْطُ بِالْثُرَيَّا ذَلِكَ الطَّرْفُ
شَيْئاً وَمِنْهُ بَنُو الْأَيَّامِ تَغْتَرِفُ
أُقِيمُ فِيهَا قَلِيلاً ثُمَّ أَنْصَرِفُ
وَبِالَّذِي خَطَّه الْإِنْسَانُ أَعْتَرِفُ
وَفِي الْقَدِيمِ خَلَا مِنْ أَهْلِهَا سَرِفُ
وَأَذِينُ النَّاسِ مَنْ يَسْعَى وَيَحْتَرِفُ
أَعْلَى النُّجُومِ وَلِلَّهِ انْتَهَى الشَّرْفُ^(٤)

فَمَا التَّشْرُفُ بِالدُّنْيَا هُوَ الشَّرْفُ
فَكُلُّنَا عَنْ مَغَانِيهَا سَيْنَصْرِفُ
فِيكَ الْعِنَاءُ وَفِيكَ الْهَمُّ وَالسَّرْفُ
لَكِنَّكَ الْأُمُّ مَا لِي عَنْكَ مُنْصَرِفُ

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٢٤ ، وفيه: الأرض، بدل: الركن.

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠١٦ .

(٣) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٥٦ .

(٤) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٦٥ .

فلم أسأل متى يقع الكسوف
وعوجل بالحمام الفيلسوف^(١)

وأعياك في الدنيا خليل موافق
فدعه إذا لم تأت منه المرافق^(٢)

علياً ومحموداً وخاناً وآلكا^(٣)
ولكن أضاهي المقترين الصعالكا^(٥)
يفرج عني بالمضيق المسالكا
سدى وأتبع الشافعي ومالكا

مؤولي في كل أمر عليك
يبقى له ملك فيدعي ملكك
فقلت مهلاً ليس هذا إليك
شاء ويمضي فازجري عاذلك
والفلك الأعظم فيها فليك

رددت إلى مليك الخلق أمري
وكم سلم الجهول من المنيا
وقال: [من الطويل]

فؤادك خفاق وبرقك خافق
أرذت رفيقاً أن ينالك رفقه
وقال: [من الطويل أيضاً]

من مبلغ عني الممالك معشراً
فما أتمنى أنني كأقلهم^(٤)
فما فيهم من ناهض يدعى به
وينفر عقلي مغضباً إن تركته
وقال: [من السريع]

يا خالق البدر وشمس الضحى
وكل ملك لك عبد وما
قد رامت النفس لها مؤثلاً
إن الذي صاغك يقضي بما
البحر^(٦) في قدرته نغبة^(٧)

وقال: [من الطويل]

(١) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١٠٧٣ .

(٢) لزوم ما لا يلزم ٢/ ١١٠٠ .

(٣) في (خ) و(ف): وخانكا، والمثبت من لزوم ما لا يلزم ٣/ ١١٧٠ ، والأبيات فيه، وآلك: هو أيلك خان، وعلي: هو فخر الدولة أخو عضد الدولة، ومحمود: هو ابن سبكتكين، وخان: هو لقب لأي ملك من ملوك الأتراك.

(٤) في اللزوم: كأجلهم.

(٥) المقترين والصعالك: الفقراء.

(٦) في (خ): البدر، والمثبت من (ف)، ولزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٠٢ ، والأبيات فيه.

(٧) النغبة: الجرعة.

فإن رضاهم غاية ليس تُدرَكُ
وإن ذكروا الخَلَّاق حابوا وأشركوا
وهل خُلَّةٌ منها أَعْرُ وأفركُ
فإنَّ قليلَ الخَلِّ خَيْرٌ^(٢) وأبركُ

ولا مُلْكٌ إِلَّا لِلَّذِي خَلَقَ الْمُلْكَ
فلا تنسَ مَنْ أجزى لحاجتِكَ الفُلْكا

قلبا وفي الكونِ بينَ الناسِ أثقالُ
شراً تولدُ منه القيلُ والقالُ^(٣)

وفائزُ مَنْ جَدُّهُ مُقبِلُ
ماضٍ وفي الحالِ ومُستقبِلُ
هذا كما أَبَحَرَتِ الأَجْبُلُ
فحسبنا الكمأةُ والأحْبِلُ^(٤)
إن لم يَكُنْ في بيننا جُنْبِلُ^(٥)
تُصْبِحُ موصولاً بها الأَحْبِلُ^(٦)
كأنه الروميُّ أو دِعْبِلُ^(٧)

دَرِ^(١) الناسَ واصحَبْ وَحشَ بِيءاءِ قَفرةِ
إذا ذكروا المخلوقَ عابوا وأطنبوا
كَلِفتَ بِدُنْيَاكَ الَّتِي هي خُدعةُ
إذا فاتَكَ الإثراءُ من غيرِ وَجْهِهِ
وقال: [من الطويل أيضاً]

تسمي رجالاً بالملوكِ سفاهةً
أرى فلکاً ما دارَ إِلَّا لحكمةِ
وقال: [من البسيط]

في الوحدةِ الراحةُ العظمى فأحي بها
إنَّ الطبائعَ لَمَّا أُلْفَتْ جَلَبَتْ
وقال: [من السريع]

كم تنصحُ الدنيا ولا نقبِلُ
إنَّ أذاها مثلُ أفعالنا
أجبلتِ الأبحرُ في عصرنا
فاتركُ لأهلِ المُلْكِ لذاتِهِمْ
ونشربُ الماءَ براحَتِنَا
لا تأمنُ الأغفارُ في النِّيقِ أنْ
لو نطقَ الذَّهْرُ هجا أهلهُ

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١١٥٥ : دع، والأبيات فيه.

(٢) في اللزوم: أولى.

(٣) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٢٣ .

(٤) الأجبِلُ: نبات اللوبيا.

(٥) الجُنْبِلُ: القدح الضخم من الخشب.

(٦) الأغفار؛ جمع عُفْر؛ الذكر من أولاد تيوس الجبل. والنَّبِقُ: أرفع موضع في الجبل.

(٧) الرومي: هو الشاعر العباسي علي بن العباس المعروف بابن الرومي. ودِعْبِلُ: هو ابن علي الخزاعي، وهو

معاصر لابن الرومي.

بالفعلِ لكنْ لفظُهُ مجبِلٌ^(٢)
أضحى ومِن أوراقِهِ يذُبُلُ
لا تليدُ الناسَ ولا تحبَلُ
فإنَّها داهيةٌ ضئيلٌ^(٣)
ثمَّت منها يُخلَقُ السنبلُ
وهلْ تَعوُلُ الأُسْدَ الأشبُلُ
تُظَلُّ بالآفاتِ أو تُوبَلُ^(٥)
نقلَةٌ عنها وهي تستوبلُ

إلينا ولستُم سامعي كلمِ الرُّسلِ
ولكنَّ طولَ الدهرِ يذهلُ أو يُسلي
وإنَّ عَزَّ حتى أغليَ الماءَ للغسلِ^(٦)

بيثربَ سائلاً عن آلِ قبيلِهِ
منازلَ منذرٍ وبني بقبيلِهِ^(٧)

لم ترَهَا في جبلٍ تعسلُ

وهو لعمري شاعرٌ مُفلقٌ^(١)
يذُبُلُ غصنُ العيشِ حقًا ولو
فليتَ حواءَ عقيماً غَدَتْ
تفكروا باللهِ واستيقظوا
في حبةٍ تُخلَقُ من سنبلٍ^(٤)
يكرهُ عولَ الشيخِ أبناؤه
ننزل من دارٍ لنا رحيبةً
وكلُّ مَنْ حلَّ بها يكرهه الـ
وقال: [من الطويل]

أسكنُ الثرى هل تبعثون رسالةً
ولم تسألُ نفسي عنكم باختيارها
وما بردتُ أعضاء مَيِّتٍ مُكرِّمٍ
وقال: [من الوافر]

إذا ما شئت موعظةً فعرجَّ
وقفَ بالحيرة البيضاء وانظرُ
وقال: [من السريع]

لو تعلمُ النحلُ بمُشتارها^(٨)

(١) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٤٠: مُغزَّر. والشاعر المُفلق: هو الذي يأتي بالشعر الذي يُعجب الناس.

(٢) الجبل: هو الذي حفر ليجد ماءً فاتتهى إلى الصخر.

(٣) الضئيل: الداهية.

(٤) في لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٤١: في سنبلٍ يخلق من حبة، والأبيات فيه.

(٥) الظل: المطر الخفيف. والوابل: المطر الغزير.

(٦) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٨٥.

(٧) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٢٦٨.

(٨) المُشتار: الذي يجني العسل.

يعجزُ عنه الفَسْلُ^(١) أو يكسَلُ
لعلّها من دَرَنِ تُغْسَلُ
وأْتَهُمَ المُرْسِلُ والمُرْسَلُ

فتبارك الخَلَّاقُ ما أغناكُم
ياوي إليها كهلُكُم وفتاكُم

ولولا ذاك ما فَتَيْتُ سُجوماً^(٣)
ولا تُظْهَرُ لِحَادِثَةٍ وُجوماً^(٤)

وَحَبَّرَ لُبُّ أَنَّهُ مُتَقَادِمٌ
ولكنّه عندَ القياسِ أوادِمٌ
وساقٍ وسبَّاقٍ وبانٍ وهادِمٌ^(٥)

ولستَ على إساءتِها مُقيماً
لقد سَعِدَ الذي أمسى عقيماً
يوماً طريقَ حتفٍ مستقيماً
وإمّا أن يُخَلِّفَهُ يتيماً^(٦)

والخيرُ محبوبٌ ولكنّه
والأرضُ للظُّوفانِ مشتاقَةٌ
قد كثرَ الشرُّ على ظهرها
وقال: [من الكامل]

كم توعظون^(٢) ولا تلينُ قلوبكُم
إنَّ الغوايةَ كالغريزة فيكُم
وقال: [من الوافر]

دموعي لا تُجيب على الرّزايا
رِضاً بقضاء ربِّك فهو حَتَمٌ
وقال: [من الطويل]

ومولِدُ هذي الشمسِ أعياءُ حُدّه
وما آدمٌ في مذهبِ العقلِ واحداً
تخالفتِ الأغراضُ ناسٍ وذاكرٌ
وقال: [من الوافر]

وما دنياك إلا دارٌ سَوُوءٍ
أرى ولد الغنى عبثاً عليه
أما شاهدتَ كلَّ أبي وليدٍ
فإمّا أن يُرَبِّيهِ عدوّاً
وقال: [من الخفيف]

(١) في لزوم ما لا يلزم ١٢٤٢/٣: الحيّ، والأبيات فيه. والفَسْلُ: الذي لا مروة له ولا جلد.

(٢) في (ف): تعظون.

(٣) سجوماً: منهمة.

(٤) الوجوم: الكآبة.

(٥) لزوم ما لا يلزم ١٣٨٨/٣.

(٦) لزوم ما لا يلزم ١٤٤٥/٣.

كُلُّ ذِكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ نَسِيَانٌ
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ
 نَفْسٌ بَعْدَ مِثْلِهِ يَتَقَضَّى
 قَدْ تَرَامَتْ إِلَى الْفَسَادِ الْبَرَايَا
 أَنَا أَعْمَى فَكَيْفَ أُهْدِي إِلَى الْمَنْدِ
 وَالْعَصَا لِلضَّرِيرِ خَيْرٌ مِنَ الْقَا
 لَيْسَ فِي هَذِهِ الْمَجْرَّةِ مَاءٌ
 وَقَالَ: [مِنِ الْخَفِيفِ أَيْضًا]

الْمُجْبِرُونَ يَنَاطِرُونَ بِبَاطِلِ
 كَلٌّ يَقُولُ أَرَى الْإِلَهَ أَضَلَّنِي
 إِنْ صَحَّ ذَا فَتَعَوَّذُوا مِنْ رَبِّكُمْ
 وَقَالَ: [مِنِ الطَّوِيلِ]

أَرَى الْحَيْرَةَ الْبَيْضَاءَ حَارَتْ فُصُورُهَا
 وَهَجَّنَ^(٣) لَذَاتِ الْمَلُوكِ زَوَالُهَا
 رَكِبْنَا عَلَى الْأَعْمَارِ وَالذَّهْرُ لُجَّةٌ
 تَجِيءُ الرِّزَايَا بِالْمَنِيَا كَأَنَّمَا
 لَعْمَرِي لَقَدْ خَادَعْتُ نَفْسِي بُرْهَةً
 وَخَانَتْنِي الدُّنْيَا مَرَارًا وَإِنَّمَا
 أَعْلَلُّ بِالْأَمَالِ قَلْبًا مُضَلَّلًا
 يَصُونُ الْكَرِيمُ الْعَرِضَ بِالْمَالِ جَاهِدًا

وَتَغَيْبُ الْآثَارِ وَالْأَعْيَانُ
 فَلْتُخَبِّرْكَ عَنْ أَذَاهَا الْعِيَانُ
 فَتَمُرُّ الدُّهُورُ وَالْأَحْيَانُ
 وَاسْتَوَتْ فِي الضَّلَالَةِ الْأَدْيَانُ^(١)
 هَجَّ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ عُمِيَانُ
 نَدِيهِهِ الْفُجُورُ وَالْعِصْيَانُ
 فَيُرْجَّيُ وَرُودَهُ الصَّذْيَانُ^(٢)

فَاسْمَعْ مَقَالَهُمْ بِغَيْرِ بَيَانٍ
 وَأَرَادَنِي مَا كَانَ عَنْهُ نَهَانِي
 وَدَعَا تَعَوَّذُكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ

خَلَاءٌ وَلَمْ تَثْبُتْ لِكَسْرِي الْمَدَائِنُ
 كَمَا غَدَرْتُ بِالْمُنْذِرِينَ^(٤) الْهَجَائِنُ^(٥)
 فَمَا صَبَرْتُ لِلْمَوْجِ تِلْكَ السَّفَائِنُ
 نَفُوسُ الْبَرَايَا لِلْحِمَامِ رَهَائِنُ
 وَصَدَّقْتُ فِي أَشْيَاءَ مَنْ هُوَ خَائِنُ^(٦)
 يُجَهِّزُ بِالذَّمِّ الْغَوَانِي الْخَوَائِنُ
 كَأَنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِأَنِّي خَائِنُ
 وَذُو اللُّؤْمِ لِلْأَمْوَالِ بِالْعَرِضِ صَائِنُ

(١) تحرفت في (ف) إلى: الإتيان.

(٢) لزوم ما لا يلزم ١٥٤٦/٣ ، والصَّذْيَانُ: شديد العطش.

(٣) في (خ): ويعجز، والمثبت من (ف)، ولزوم ما لا يلزم ١٥٢٥/٣ ، والأبيات فيه.

(٤) المنذران هما: المنذر بن ماء السماء، وهو الأكبر، والثاني: ابنه المنذر بن المنذر، وهو الأصغر.

(٥) الهجائن: الإبل ذات البياض الخالص.

(٦) في اللزوم: مائن، والمائن: الكاذب.

وقال: [من الطويل]

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة
وإنَّ وليدًا حَلَّها لمُعذِّبٌ
عجبتُ لكهلٍ قاعدٍ بينَ نسوةٍ
تُحارِبُنا أيامنا ولنا رضاءُ
إذا كانَ جِسمي لِلرَّغامِ أَكيلةً
ومِنَ شرِّ أَحدانِ الفتى أُمُّ زُنْبِقٍ
تُحَبِّرُ عن أسرارِهِ قُرْناهُ
ولا الحيُّ في حالِ السلامةِ آمِنُ
جَرَتْ لِسِوَاهُ بالسَّعودِ أَيامِنُ
يُقاتُ بما جَرَّتْ عليه الرَّوادِنُ^(١)
بذلك لو أنَّ المَنايا تُهادِنُ
فكيفَ يَسُرُّ النَّفسَ أَنِّي بادِنُ
وتلكَ عَجوزُ أَهلَكَتْ مَن تُخادِنُ
ومِنَ دونها قُفْلٌ مَنيعٌ وَسادِنُ^(٢)

وقال: [من الطويل]

أيا أنفُساً ما صومُها وصلاتها
يؤثِّرُ في حرِّ الجباهِ سَجودُها
بدينِ لها بل تَرُكُها الظُّلمَ دينُها
ويشكو أذاها جارُها وخَدينُها

وقال: [من الطويل]

رأيتُ سِوادَ الرأسِ يسلُبُ لونهُ
فلا يَعتَرِرُ بِالْمُلْكِ صاحِبُ دولَةٍ
وإني أرى أنصارَ إبليسِ جَمَّةً
وإنَّ كانتِ الأرواحُ بعدَ فراقِها
من الدَّهرِ بيضٌ يَختلِفُنَ وُجُونُ^(٣)
فَكَمَ من مَليكَ غيَّبَتُهُ دُجونُ^(٤)
ولا مِثْلَ ما أوفى به الزَّرَجونُ^(٥)
تنالُ رخاءَ فالجِسمُ شُجونُ^(٦)

وقال: [من الطويل]

كَأَنَّ نَجومَ اللَّيلِ زُرُقُ أسِنَّةٍ
بها كلُّ مَنَ فوقَ الترابِ طَعينُ

(١) الرَّوادِن: النساء اللواتي يعملن بالمِرْدَن، يعني المِرْزَل.

(٢) لزوم ما لا يلزم ٣/١٥٢٨ .

(٣) البيض والجون: الأيام والليالي.

(٤) الدجون: الغيوم.

(٥) الزرجون: الحمرة والمطر الصافي المستقع في الصخرة، ومعناه بالفارسية لون الذهب. معجم الألفاظ

الفارسية ص ٧٧ .

(٦) لزوم ما لا يلزم ٣/١٥٢٩ .

ولا تُح هذا الفجر سيفٌ مُجرّدٌ
وقال: [من الطويل]

حياتي تعذيبٌ وموتي راحةٌ
توهّمت يا مغرورٌ أنّك ديّنٌ
تسيرُ إلى البيتِ الحرامِ تنسكاً
وقال: [من الخفيف]

بئستِ الأُمُّ لِلأنامِ هي الدنيا
فَسَدَ الأمرُ كُلُّهُ فاتركوا الإغـ
وقال: [من البسيط]

لقد أتوا بِحديثٍ لا يُثبِّتُهُ
فأخبروا بِأسانيدٍ لَهُم كَذِبٌ
عَجِبْتُ لِلأُمِّ لَمَّا فاتَ واحِدها
هُمُ أسارى مَناياهُم فَمَا لَهُمُ
فَلَوْ تَكَلَّمْ دَهْرٌ كانَ ساكِنُهُمُ
أما تَرَوْنَ دِيارَ القومِ خالِيَةً
يصومُ ناسٌ عن الزَّادِ المباحِ لَهُمُ
وقال: [من الوافر]

إذا ما شئْتُمُ دَعَةً وخفضاً
ولا يُعقِّدُ لكم أَملاً لِخَلقِ
وقال: [من المتقارب]

أعانَ به صَرَفَ الزَّمانِ لَعينٌ^(١)

وكلُّ ابنِ أنثى في الترابِ سجينٌ
عليّ يمينُ اللهِ مالِكٌ دِينٌ
ويشكوكُ جارٌ بائسٌ وخدينٌ^(٢)

بئسَ البَنونَ لِلأُمِّ نَحْنُ
رابَ إِنَّ الفَصاحَةَ اليومَ لَحْنُ^(٣)

عَقْلٌ فَقلنا عن أَيِّ الناسِ تحكونَهُ
لم تَحُلْ مِن ذِكرِ شَيْخٍ لا يُزكُّونَهُ
بَكَتْ وَساعِدها ناسٌ يُبَكُّونَهُ
إذا أتاهُمُ أسيرٌ لا يَفكُّونَهُ
كما تَراهُمُ على الإحسانِ يَشكونَهُ
بَعَدَ الجماعاتِ والأجداتِ مَسكونَهُ
ويغتزون بلحمٍ لا يُزكُّونَهُ^(٤)

فعيشوا في البريةِ حامِلينا
وبيتوا للمهيمنِ آمِلينا^(٥)

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٣٠ .

(٢) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٣١ ، والحددين: الصديق.

(٣) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٤٤ .

(٤) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٥٩-١٥٦٠ .

(٥) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٥٧١ .

إذا جاءك الموت فافرح به
هُمُ ضربوا حيدراً ساجداً
وقال: [من الطويل]

إذا ما ذكّرنا آدمأً وفعاله
علّمنا بأنّ الخلق من أصل زنية
فأجابه القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة من اليمن - وكان فاضلاً - فقال:
وتزويج إبنيه لبنتيه في الدنيا^(٢)
وأنّ جميع الناس من عنصر الزنا
لعمرك أمّا فيك فالقول صادق
كذلك إقرار الفتى لازم له
وقال أبو العلاء: [من الوافر]

[عليك السابغات فإنّهنة
ومن شهد الوغى وعليه درع
وحبّات القلوب يكنّ حباً
على أنّ الحوادث كائنات
وقال: [من المنسرح]

تسوّقوا بالغنى لربّهم
سعوا لدنياهم بأخيرة
ولم يعوا ما يقولوا وعظّمهم
وقال: [من السريع]

بخيقة الله تعبّدنا
تأمّرنا بالزهد في هذه الدنيا وما همك إلا هي^(٥)
وأنت عين الظالم اللاهي

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٦٥٠ .

(٢) هكذا في النسخ، وفي معظم المصادر: الحنا .

(٣) هذا البيت من (ف).

(٤) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٧١٠ .

(٥) لزوم ما لا يلزم ٣/ ١٧٠٣ .

وقال: [من مخلع البسيط]

وَقُبِّحُ الْبَابِهَا^(١) دَهَاها
سَلَطَ لَيْثٌ عَلَيَّ مَهَاها
عَنِ الثُّرَيَّا وَعَنْ سُهَاها^(٢)
عَلَى لَبِيبٍ قَدِ اشْتَهَاها
مَنْ أُمَّ دَفَرٍ وَمِنْ لُهَاها^(٣)
صَاحَ بِأَجْمَالِهِ وَهَاها^(٤)

يَا أُمَّةَ مَا لَهَا عَقُولٌ
بِأَيِّ جُرْمٍ وَأَيِّ حُكْمٍ
[فَحَدَّثُونِي بِغَيْرِ مَيِّنٍ
وَعُدَّتْ حَاجَةٌ بِعُسْرٍ
وظَالِمٌ عِنْدَهُ كُنُوزٌ
كَانَ إِذَا مَا دَجَى ظَلَامٌ

وقال: [من الوافر]

لَأَرْبَابِ الْمَعَارِفِ وَالْمَلَاهِي
فَلَا أَنَا مُنَجِّحٌ أَبَدًا وَلَا هِي
وَهُمْ لَا يَجْمَعُونَ عَلَى الْإِلَهِ^(٥)

وَجَدْتُ غَنَائِمَ الْإِسْلَامِ نَهَبًا
تُنَازَعُنِي إِلَى الشَّهَوَاتِ نَفْسِي
وَكَيْفَ يَصِحُّ إِجْمَاعُ الْبَرَايَا

وقال: [من الخفيف]

مَ وَلَا تَذُكَّرَنَّ مَا تُهْدِيهِ
أَنْ يَمُنَّ الْفَتَى بِمَا يُسْديهِ^(٦)

لَا تُهَادِ الْقِضَاةَ كِي تَظْلَمَ الْخَضُ
[إِنَّ مَنْ أَقْبَحَ الْمَعَايِبَ عَارًا

وقال: [من السريع]

وَمَا عَلَى الْغِبْرَاءِ إِلَّا سَفِيهَةٌ
مِنْ عَالَمِ السُّوءِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ

نُْمَسِي وَنُصَبِّحُ فِي ضَلَالَاتِنَا^(٧)
فَنَسْأَلُ الْوَاحِدَ^(٨) إِنْقَاذَنَا

وقال: [من البسيط]

(١) في لزوم ما لا يلزم ١٦٨٦/٣ : وفقد ألهابها ، وفي (خ) : وفتح أبوابها ، والمثبت من (ف).

(٢) هذا البيت من (ف).

(٣) اللُّهَى : العطايا .

(٤) لزوم ما لا يلزم ١٦٨٦/٣ ، ووهاها : زجرها .

(٥) لزوم ما لا يلزم ١٧٠١/٣ .

(٦) هذا البيت من (ف) ، والبيتان في لزوم ما لا يلزم ١٧٠٤/٣ .

(٧) في لزوم ما لا يلزم ١٧٠٤/٣ : نُصْحِي وَنُْمَسِي كِبْنِي آدَمَ .

(٨) في اللزوم : العالم .

لو كان جسمك متروكاً بهيئته
كالذَّنَّ عَطَّلَ من راح تكونُ بهِ
لكنَّهُ صارَ أجزاءً مُقسَّمةً
وذاك في هذه الدنيا وبعثُهُ
[وفيها توفِّي]

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد^(٢)

أبو عثمان، الصابوني، النيسابوري، الحافظ، الواعظ، المفسِّر، طاف الدنيا في طلب الحديث، وسمع بهراً وخراسان ونيسابور وما وراء النهر والعراق والشام والحجاز [واليمن] والهند وطبرستان وغزنة وغيرها، ووعظ بنيسابور وله سبع سنين، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة، [وله الكلام المليح. قال: وقدّم الشام حاجاً في سنة اثنين وثلاثين وأربع مئة، وحَدَّث بدمشق ووعظ بها]، ومن شعره: [من الطويل]

إذا لم أصب [أموالكم]^(٣) ونوالكم
ولم أملِ المعروف منكم ولا البراً
وكنتم عبداً للذي أنا عبده
فمن أجل ماذا أتعب البدن الحراً
وقال أيضاً: [من البسيط]

مالي أرى الدهر لا يسخو بذِي كرم
ولا أرى أحداً في الناس مشترياً
صاروا سواسيةً في لومهم شرعاً
ولا يجرود بمعاونٍ ومفضالٍ
حسنُ الثناء بإنعام وإفضالٍ
كأنما نسجوا فيه بمنوالٍ
ذكر سبب وفاته:

[حكى أبو الحسين الفاسي قال]: وقع وباء عظيم بنيسابور، فصعد المنبر، واجتمع الناس، ودعا، فورد كتاب من بخارى يذكر فيه أن رجلاً تقدّم إلى خباز يشتري منه خبزاً، فدفَع إليه درهماً والخباز يخبز، فمات الخباز، وصاحبُ الدكان والمشتري في ساعة واحدة، فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، ثم أمر القارئ فقراً: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ

(١) لزوم ما لا يلزم ٣/١٦٩٧ دون البيت الأخير، والسّوافي: الرياح تسفي الغبار.

(٢) تاريخ بغداد ٨/١٠٨، وتاريخ دمشق ٩/٥، والمنتظم ١٦/٢٧-٢٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (ف) وتاريخ دمشق ٩/٥.

الْأَرْضِ ﴿ [النحل: ٤٥] ثم بالغ في الوعظ والتخويف، وتغيّر في الحال، وأنزل من المنبر وهو يصيح من وجع بطنه، وحَمِلَ إلى الحمام ثم إلى بيته فأقام سبعة أيام ومات، وصلى عليه خلق عظيم، وقيل: مات سنة خمسين وأربع مئة، وقيل: إنه تكلم على المنبر، ففرق في علم المشاهدة، وغلب فوقه، فأقام سبعة أيام لا يفيق، وتوفي فلم يبقَ بنيسابور بِكُرًّا ولا عانس إلا وحضرنَ جنازته، وكان يوماً مشهوداً في المُحَرَّم.

حدّث عن الحاكم أبي عبد الله وغيره، وروى عنه الخطيب وغيره، وكان يحضر مجالسه الأئمة، وجلس مكان أبيه وكان عمره سبع سنين، وكان أبوه عبد الرحمن من كبار العلماء الزُّهَّاد، وكان يعظ بنيسابور، ففتكوا به؛ لأجل التعصّب في المذهب، فجلس أبو عثمان مكانه، واتَّفَقوا على فضله وزهده وورعه وصدقه وثقته.

الحسين بن أحمد^(١)

ابن القاسم بن علي بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، النسّابة، وُلِدَ في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، وتوفي في صفر، وكان مميزاً من بين أهله بعلم النسب ومعرفة أيام الناس.

سعد بن أبي الفرج^(٢)

محمد بن جعفر، أبو الغنائم، علاء الدين بن فسانجس، وَزَرَ للملك أبي نصر بن أبي كاليجار، ونظر بواسط أول قدوم طُغْرُلبَك إلى بغداد، ثم عصى وخطب للمصريين بواسط، وقد ذكرنا مقتله وكان يوم قُتِلَ ابن سبع وثلاثين سنة.

عدنان بن الشريف^(٢)

الرضي، الموسوي، ولي نقابة الطالبين بعد عمه المرتضى، وكان فاضلاً، وتوفي في رجب، روى عن أبيه وعمه.

(١) تاريخ بغداد ١٠٨/٨، - وفيه: الحسين بن محمد - والمنتظم ٢٨٢٧/١٦.

(٢) المنتظم ٢٨/١٦.

علي بن هندي^(١)

أبو الحسن، قاضي حمص، ولد سنة أربع مئة، وكان فاضلاً [نزهاً عفيفاً فصيحاً]،
وتوفي بدمشق ودفن بالباب الصغير، ومن شعره: [من البسيط]

تَخَلَّقُ حَسَنٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ خُلُقٌ تَوَرَّعُ حَسَنٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ وَرَعٌ
فَمَا أَرَى قِيمَةَ الدُّنْيَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَنْ تَأْتِيَ الْحَرَّ مَا مِنْ نَفْسِهِ يَضَعُ

السنة الخمسون والأربع مئة

فيها استولى البساسيري على بغداد، وأخرج منها القائم بأمر الله، ودرس آثارها
[والمعالم]، وجرى على الخليفة وداره وأهله منه ما لم يَجِرِ من الكفار، ثم إن الله
تعالى أخذ [له] منه بالثأر [وكان مآله إلى الاستئصال والبوار]، وردَّ [الله] الخليفة إلى
مقره، وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفي المحرم صرف أبو علوان ثمال بن صالح بن الزوقلية أمير حلب منها، وأقطعها
عكاً وقيسارية وصيدا والبلاد الساحلية عوضاً عنها، وولّاهَا صاحبُ مصر لأبي علم بن
ملهم الخويلدي، وخرج صحبته القاضي ابن أبي عقيل قاضي صور حتى تسلّم ابنُ
ملهم حلب، وعاد القاضي إلى صور، وكان بقلعة حلب أبو نصر بن أبي عمران
الداعي، فرتبها بحلب، وعاد الداعي إلى مصر، وفي المحرم بعث السلطان بتارتيكين
إلى الخادم الخاص ومعه فرجية ديباج مطمومة بالذهب، وعمامة مكبة مذهبة، وفرس
بمركب ذهب إلى أخيه إبراهيم يتال، وأحبَّ أن يُزفَّه بملابس الخليفة، وكان إبراهيم
بالموصل، وأمره السلطان بالمسير إليه عاجلاً.

وفي صفر ورد الخبر بأن البساسيري أقطع الرحبة لخاصته، وارتفاعها ثمانون ألف
دينار، ووعد بإنفاذ ستين ألف دينار من مصر في كل سنة، مضافةً إلى ذلك تنصرف في
إقامة العسكر البغداديين الذين معه، وكتب إليه من مصر أن لا يعبر الفرات، ولا
يتعرّض لأعمال العراق إلى أن يرى صاحب مصر رأيه في المسالمة أو المنافرة.

(١) تاريخ دمشق ٤١/٤٢٦-٤٣٣.